عَنْ المرْأةِ وَغِطاءِ الرأسِ

"احْكُمُوا فِي أَنْفُسِكُمْ:

هَلْ يَلِيقُ بِالْمَرْأَةِ أَنْ تُصَلِّيَ إِلَى اللهِ وَهِيَ غَيْرُ مُغَطَّاةٍ؟.."

(١كورنثوس ١١: ١٣).

دراسة وشرح

القمص كيرلس عبد المسيح حنا

تقديم

نيافة الأنبا اسطفانوس

أسقف ببا والفشن

عَنْ المرْأَةِ وغِطَاءِ الرَأْسِ

"احْكُمُوا فِي أَنْفُسِكُمْ:

هَلْ يَلِيقُ بِالْمَرْأَةِ أَنْ تُصَلِّيَ إِلَى اللهِ وَهِيَ غَيْرُ مُغَطَّاةٍ؟.."

(١كورنثوس ١١: ١٣).

دراسة وشرح

القمص كيرلس القمص عبد المسيح حنا

تقديم

نيافة الأنبا اسطفانوس

أسقف ببا والفشن

اسم الكتـــاب: عن المرأة وغطاء الرأس

اسم المؤلـــف: القمص كيرلس عبد المسيح حنا

الناشـــر : جذور للنشر والترجمة والتوزيع / ت: ٢٦٣٣٨١٣٧

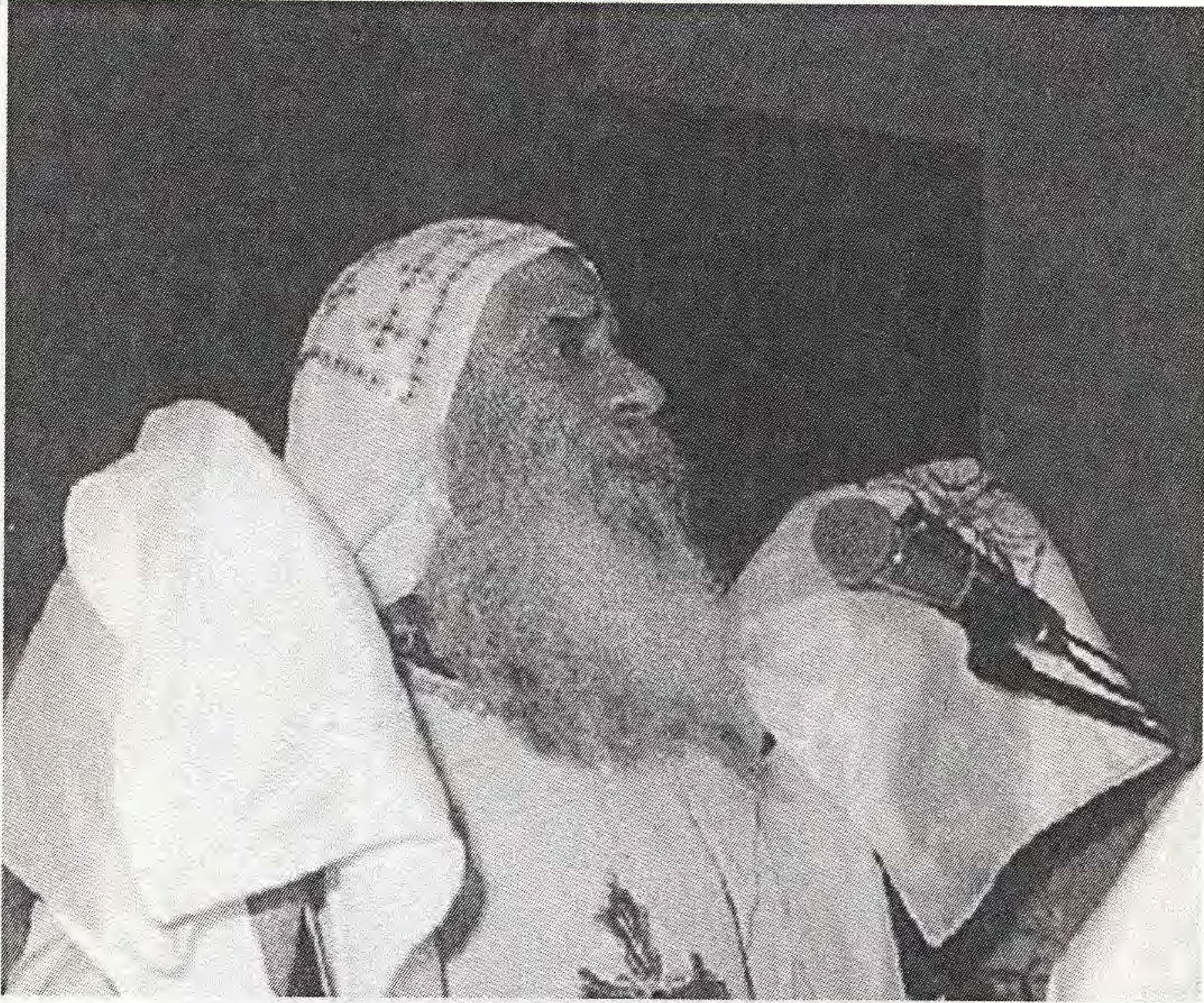
المطبعـــة : جي سي سنتر / ت: ٢٦٣٣٧١٢٤

رقم الإيداع : ١٠٨٠٩ / ٢٠١١

الترقيم الدولى: 978-977-5086-02-0

الطبعة الثالثة : أغسطس ٢٠١١ مزيدة ومنقحة مع ترجمة إنجليزية لجدول المحتويات والمقدمات.

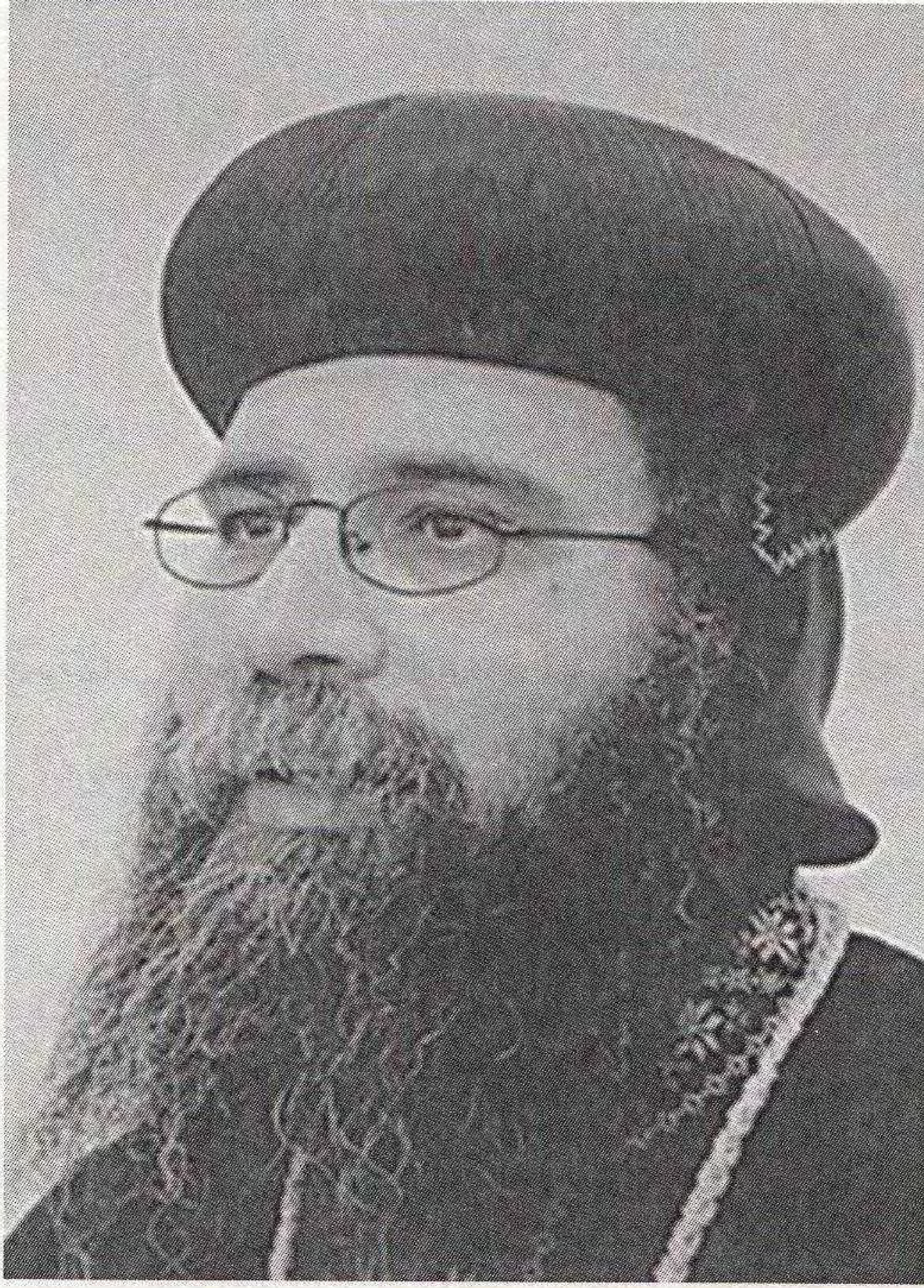




قداسة البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

"آتي بِجَبَرُوتِ السَّيِّدِ الرَّبِّ. أَذْكُرُ بِرَّكَ وَحْدَكَ.
اَللّهُمَّ قَدْ عَلَّمْتَنِي مُنْذُ صِبَايَ وَإِلَى الآنَ أُخْبِرُ بِعَجَائِبِكَ.
وَأَيْضاً إِلَى الشَّيْخُوخَةِ وَالشَّيْبِ يَا اللهُ لاَ تَتْرُكْنِي
حَتَّى أُخْبِرَ بِذِرَاعِكَ الْجِيلَ الْمُقْبِلَ وَبِقُوَّتِكَ كُلَّ آتٍ.
وَبِرُّكَ إِلَى الْعَلْيَاءِ يَا اللهُ الَّذِي صَنَعْتَ الْعَظَائِمَ.
يَا اللهُ مَنْ مِثْلُكَ! أَنْتَ الَّذِي أَرَيْتَنَا ضِيقَاتٍ كَثِيرَةً وَرَدِيئَةً
تَعُودُ فَتُحْيِينَا وَمِنْ أَعْمَاقِ الأَرْضِ تَعُودُ فَتُصْعِدُنَا.
تَزِيدُ عَظَمَتِي وَتَرْجِعُ فَتُعَزِّينِي" (مز٧١:١٦-٢١).



الأنبا اسطفانوس

أسقف ببا والفشن

المحتويات

تقديم

نيافة الأنبا اسطفانوس

يسرنا اصدار هذا الكتاب الهام عن المرأة في التعليم اللاهوتي الكنسي ومسألة تغطية رأسها أثناء الصلاة. وهو دراسة تفصيلية وشرح مستفيض ومتعدد الجوانب جمع موضوعات عدة، بوضعها معاً تبدو كفسيفساء جميلة متعددة الألوان والقطع، لا غنى عن أي قطعة منها.

يبدأ الكتاب بإبراز كرامة الإنسان كمخلوق على صورة الله. والرؤية المسيحية للجسد والروح. والمرأة كمثال للكنيسة. وهي موضوعات هامة تضع الأساس القوي للدراسة، كما يمكن أن تفيد وتمهد بحد ذاتها لموضوعات أخرى حيوية.

لم يخلُ الكتاب أيضاً من موضوعات تهمنا في الحياة المعاصرة، عولجت في ضوء علم النفس وعلم الاجتماع، كأهمية إدراك المعنى الصحيح للجسد، وأثر ذلك في شكل وتوجهات الحياة المعاصرة.

أيضاً، تَعمَق الكتاب بالدراسة والشرح في طقوس وممارسات من نواحيها الحضارية والليتورجية والكتابية، ومنها أمور قد نمارسها يومياً في حياتنا وطقوسنا، يجب أن ننتبه أكثر إلى غنى المعاني الرائعة التي تحملها.

وقد قدم في نهاية الفصل الخاص بالوجه الإنساني، توضيحاً هاماً لقول السيد المسيح: "مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضاً" (مت٥: ٣٩).

بتدقيق وصبر حاول الكاتب الوصول إلى فكر الرسول العظيم بولس من عدة طرق أهمها: الكتاب المقدس، وكتابات الآباء الأولين، والنظر في

خلفيات الحضارة والثقافة اليونانية القديمة في مدينة كورنثوس آنذاك، حتى أدرك البحث هدفه، وهو فهم النص دون الجنوح إلى الحرفية القاتلة تاركة الروح الذي يحي ويفيد ويبني.

كما عودنا القمص كيرلس القمص عبد المسيح حنا، في كتابيه السابقين: "الصوم الكبير. مقدمة لدراسة قراءات الصوم الكبير"، و"قائم كأنه مذبوح. تأملات في ليتورجيا سبت الفرح"، أن تتميز بالتركيز والتعمق، هكذا جاء هذا البحث القَيِّم، الذي يُعد إضافة غنية للمكتبة المسيحية، وكتاباً هاماً للجميع وخاصة للشباب والخدام. ولرُبَّما يكون الأول في مجال الدراسة المعنية، وبهذا التنوع والغنى.

الرب يبارك الكاتب، ويجعل هذا الكتاب سبب بركة لكل من يقرأه. بصلوات صاحب الغبطة والقداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث. أدام الله لنا حياته سنيناً عديدة وأزمنة هادئة مديدة بشفاعة القديسة الطاهرة العذراء الطاهرة مريم. نعمة الرب مع جميعنا. آمين.

اسطفانوس

أسقف ببا والفشن

اجتهد الباحث «أَنْ يَجِدَ كَلِمَاتٍ مُسِرَّةً مَكْتُوبَةً بِالاسْتِقَامَةِ» (جامعة١٢: ١٠). طالباً أن يهب له الله أن يتكلم بحسب رغبته (الحكمة٧: ١٥) لكي يضيف الجديد، ويستقي مِن العميق العذب. فإذا بالساقية تصير نهراً، والنهر يصير بحراً (سيراخ ٢٤: ٣١)، حتى أثمر تعبه «لِجميعِ الَّذينَ يَلتَمِسونَ الحِكمَةَ» (سيراخ ٢٤: ٣٤)، هذا الكتاب. به نمجد الله بربنا يسوع المسيح. له السجود والاكرام إلى الأبد آمين.

القمص عبد المسيح حنا غبريال

«لِيهبْ لي اللهُ أن أتكلمَ بحسبِ رغبتِه
وأن أُجريَ في خاطِري
ما يَليقُ بِما نِلتُه مِنَ المَواهبِ.
فإنه هو دَليلُ الحكمةِ ومرُشِدُ الحُكماء.
وفي يَدِه نحنُ وأقوالُنا»
(الحكمة٧: ١٥، ١٦)

تقديم

هذه محاولة لدراسة وشرح نَصّ رسالة بولس الرسول الأولى (١١:٣-١٥) "إِلَى كَنِيسَةِ اللهِ الَّتِي فِي كُورِنْثُوسَ" (١:٢)، والذي يحتوي تعليمه الرسولي عن صلاة المرأة وهي مغطاة الرأس.

وتحوي الدراسة ثلاثة أبواب على النحو التالي:

الأول: دراسة تأسيسة تتناول كرامة الإنسان كمخلوق على صورة الله. والرؤية المسيحية للجسد والروح. وبقدر تعميق الأساس يتقوى الإيمان بأهمية العيش في إنسانية ذات وعي بوجودها وغايتها والنعمة والرسالة التي قبلتها من الله. ثم تناولنا من بين قضايا عديدة تهم الجسد الإنساني عامة والمرأة خاصة: ظاهرة التحرش الجنسي في مجتمعنا المصري بتوصيفها والبحث في ثقافتها ومبادئ لمواجهتها، والمفهوم المسيحي المتكامل عن الحشمة وأهميتها وشهادة الحياة المسيحية بخصوصها.

الثاني: يتناول الصلاة الليتورجية، وما جعل الرسول بولس يوصي بوضع المراة غطاء الرأس أو البُرقُع أو المِنْدِيل أو الوِشاح على رأسها خلالها. أيضاً، نبرز تعليماً كتابياً ورسولياً هاماً عن المرأة كمثال للكنيسة بقبولها محبة المسيح، والرجل كمثال للمسيح بمحبته للكنيسة، للنظر في ضوء هذا المثال على الأفكار المطروحة هنا للدراسة والشرح.

الثالث: عرض النَصّ المعني بالدراسة، واحتمالات تفسيره. وبناء على احتمالات تفسير النَصّ، تناولت الدراسة معاني: "الرأس"، "الشَعْر"، "الوجه" في التراث الإنساني والكتابي والليتورجي، حتى أن البحث في معنى "الوجه" حملنا إلى موضوع يبدو بعيداً عن حقل الآية المعنية بهذه الدراسة، وهو معني قول المسيح: "مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ

أَيْضاً" (مت٥:٣٩). ولكن بعد قراءته تظهر صلته الوثيقة بحقل الدراسة. و أيضاً تناولت الدراسة المعاني الروحية لأغطية رأس المعمدين حديثاً والأب الكاهن في القداس، ووشاح أو طرحة العروس في طقس الزواج. عرفنا أيضاً ما يصطلح عليه بـــ "العلامة". ثم غطاء الرأس كـــ "علامة" ذات معاني ودلالات معينة ذات جذور سحيقة القِدم.

وقد تم شرح النَصّ على خلفياته التاريخية والحضارية واللغوية، وثقافة البشر الموجه إليهم النَصّ، حتى نستطيع أن نتبين ما الذي أراد الكاتب أن يقوله لهم ولنا أيضاً. كما أن تفهم ثقافة كاتب النَصّ أيضاً ومنابع أفكاره وتوجهاته، يجعل التفسير أو الشرح أكثر قرباً إلى مقاصد الكاتب.

أما الأهم من مطاليب البحث التاريخي أو الحضاري للنَصّ، فهو شرحه من خلال ترابطه الحيوي مع مجمل الفكر اللاهوتي المسيحي بحسب الكتاب المقدس وكتابات الآباء وصلوات وليتورجيات الكنيسة وسير وحياة قديسيها، ومسيرة الكنيسة وشهادتها وتمجيدها الله في العالم.

وأخيراً يطيب ثمر الدراسة المرجو، وهو قراءة النَصّ المعني بالدراسة قراءة قريبة قدر الإمكان من مقصد الرسول بولس في مسألة تغطية المرأة رأسها.

قد يتوقف البعض مِنا أمام أمور تبدو غامضة أو غير مقبولة في بعض العوائد والممارسات من جهة المرأة، ومع هذا تبقى المرأة في قمم التعليم اللاهوتي ونقاوة الليتورجيا والحياة المسيحية، الأيقونة والمثال لجمال المحبة المتبادلة بين الله والبشر. ولعل وجه القديسة العذراء مريم تحمل طفلها يسوع في حضنها هو ألمع نجم يقود كل الآتين إلى الله الحقيقي لمعرفته والسجود له، وأصدق جواب على محبة الله. "فمطوبة هي التي حملت العظيم القوي الذي يحمل العالم بقوة خفية، وقبلته وغمرته بأحضانها

الحانية"[1]. شفاعتها وطلباتها تؤازرنا وتكون معنا، وتحفظ لنا حياة أبينا قداسة البابا الأنبا شنودة الثالث، وشريكه في الخدمة الرسولية أبينا الأسقف المكرم الأنبا استفانوس، وسائر آبائنا الأساقفة.

والمجد لله في كل شيء

القمص كيرلس القمص عبد المسيح حنا
عيد دخول المسيح أرض مصر
٢٤ بشنس ١٧٢٧ش
١ يونيو ٢٠١١م

١- يعقوب السروجي.عن: آبائيات صـ ٤٦

الباب الأول

الفصل الأول

الكرامة الإنسانية

أساسها نعمة الصورة الإلهية في الإنسان

يخبرنا سفر التكوين عن كرامة خلق الإنسان في هذه الآيات: "وَقَالَ اللهُ: نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا.. فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ. وَبَارَكَهُمُ اللهُ" (تك١: ٢٦-٢٨). "وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ تُرَابًا مِنَ الأَرْضِ، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً" (تك٢: ٧). "خَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ. عَلَى شَبَهِ اللهِ عَمِلَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُ، وَبَارَكَهُ" (تك٥: ١-٢).

الإيمان بعطية الصورة الإلهية في الإنسان، هو أول الطريق نحو اعتناق أرقى وأجمل المثل والمبادئ تجاه كرامة الإنسان. تعني الصورة الإلهية أن الإنسان - أي إنسان — يخص الله مباشرة، وينتمي إليه أكثر مما ينتمي إلى جماعته أو قبيلته أو عنصره. فمن يَنْفُثُ تَهَدُّداً وَقَتْلاً ويضطهد إنساناً أو جماعة أو جنساً، يضطهد الله نفسه. مثلما كان شاول ينتهج هذا الجهاد ضد المسيحيين الأولين، فظهر له يسوع المسيح، وسأله: "لِمَاذَا تَضْطَهِدُنِي؟" (أع٩: ٤). وبالمثل، من يرذل تعليم القداسة بعدم جواز طمع أحد في إمرأة غيره، "لاَ يُرْذِلُ إِنْسَانًا، بَلِ اللهَ" (١تس٤: ٨)، الذي أودع في الإنسان صورته المقدسة.

ويكتب القديس أثناسيوس الرسولي في كتابه الخالد "تجسد الكلمة" عن سبب وأثر جود الله بنعمة الصورة الإلهية على البشر:

"لأن الله صالح، أو بالحري هو بالضرورة مصدر الصلاح، والصالح لا يمكن أن يبخل بأي شيء. لذلك فإنه، اذ لا يضن بنعمة الوجود على أي شيء، خلق كل الاشياء من العدم بكلمته - يسوع المسيح ربنا - وفضلاً عن ذلك فإنه اذ أشفق بصفة خاصة على الجنس البشري دون سائر المخلوقات على الأرض، وإذ رأى ضعفه - بطبيعة تكوينه - عن أن يبقى في حال واحدة، منحه نعمة أخرى، فإنه لم يكتف بمجرد خلقته للإنسان، كما خلق باقي المخلوقات غير العاقلة على الأرض، بل خلقه على صورته ومثاله، وأعطاه نصيباً حتى في قوة "كلمته"، لكي يستطيع وله نوع من ظل "الكلمة"، وقد خُلق عاقلاً، أن يبقى في السعادة أبداً، ويحيا الحياة الحقيقية، حياة القديسين في الفردوس"(١).

إن خلق الانسان على صورة الله ومثاله لا يعني أنه يملك مطلقاً ذات الطبيعة الالهية، حاشا. فلا بد من الاعتراف بالفوارق بين الخالق والمخلوق. إنما الصورة والمثال تعبير عن النعمة الفائقة التي تعطي الإنسان - وهو مخلوق وأرضي - الإمكانية أن يتقبل معرفة الله ويدخل معه في علاقة بنوة، فالإنسان من خلال هذه العلاقة تتكون وتنمو حياته وتتجه نحو غايتها الصحيحة، وبالتالي يدرك وجوده ويحيا الحياة الكاملة المباركة بحسب قصد الله. الصورة والمثال الإلهي في الإنسان هو ما يجعل كل إنسان اقتناها واحتواها وحفظها مهيأ للتغير والتطور المتصاعد "إِلَى إِنْسَانٍ كَامِلٍ. إِلَى قِيَاسِ قَامَةِ مِلْءِ الْمَسِيحِ" (أف٤: ١٣).

ولأن الإنسان واحد بروحه ونفسه وجسده، فإن الجسد يتمتع بذات

١- القديس اثناسيوس الرسولي. تجسد الكلمة ٣:٣

الكرامة التي للصورة الإلهية التي وضعها الله في الإنسان، لَما خلقه بحسب صورته ومثاله. إن الصورة روحية بما أن "اَللهُ رُوحٌ" (يو٤: ٢٤) بلا جسد، ولكنها مرئية وملموسة بالجسد الذي هو أداة ظهورها، ولأن الصورة الإلهية هي التي تجعله قادراً على الحياة مع الله وبحسب الله.

إن موهبة صورة الله تشع في الجسد مجد الله. وهي انعكاس مجد الله الذي يتعين ويُلمس في الإنسان بكليته. ويجب أن نؤكد هنا، أن الجسد الإنساني غير مستبعد من قبول عطايا الله الروحية في الإنسان، وإلا فلماذا خلق الله الجسد البشري إن كان الجسد غير مستحق للنعمة؟ ولو أن الصورة الإلهية منزهة عن الشركة في الجسد، لَما كُتب: "لأَنَّنَا نَحْنُ عَمَلُهُ، مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لأَعْمَال صَالِحَة، قَدْ سَبَقَ اللهُ فَأَعَدَّهَا لِكَيْ نَسْلُكَ فِيهَا" (أف٢: ١٠)، أو "لأَنَّ الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِه، لِيَكُونَ هُوَ بِكْرًا بَيْنَ إِخْوَة كَثِيرِينَ" (رو٨: ٢٩)، إلا لأن الإنسان، من المسيح وبه وله. منه في خلقته، وبه في تجديد خلقته، وله في غاية خلقته ووجوده. كيف نالت أجسادنا الميلاد الجديد في المعمودية؟ ولماذا مُسحت أجسادنا بمسحة الميرون المقدس؟ بل وكيف يسمح ربنا يسوع المسيح أن "يُغَيِّرُ شَكْلَ جَسَد تَوَاضُعنَا لِيَكُونَ عَلَى صُورَة جَسَد مَجْده، بِحَسَب عَمَل اسْتِطَاعَته أَنْ يُخْضِعَ لِنَفْسه كُلَّ شَيْء" (في٣: ٢١). كيف يُقَال "وَكَمَا لَبِسْنَا صُورَةَ التُّرَابِيِّ، سَنَلْبَسُ أَيْضًا صُورَةَ السَّمَاوِيِّ" (١كو١٥: ٤٩). لولا أن الفداء والخلاص يشمل الإنسان كله؟! تخصيص الصورة الإلهية للروح وتتريهها عن الجَسَد، يعيد الفكر والحياة إلى الفلسفة الأفلاطونية والنظرة الشائعة التي تعتمد الثنائية في فهم الوجود الإنساني.

إن فهم طبيعة الإنسان المسيحي وأخلاقه وفضائله لا يتأسس على ما لا ينبع من الإنجيل أو التعليم اللاهوتي الآبائي القويم أو السجود لله "بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ". العفة مادتها الأولية هي الإيمان بكرامة عطية صورة الله فينا، والتي

تتجدد في المسيح يسوع خالقها. كما نفهم تأسيساً على بشارة المسيحية بعطية الصورة الإلهية للبشر، أن الفضيلة ليست مجرد مبادئ أخلاقية تقوم على مقولات وتشريعات تقر الحلال والحرام، لكن توجد وتصير ممكنة بل وفائقة كل تصور بنعمة الصورة الالهية في الانسان وتجددها بالروح القدس.

إن لم يدرك الإنسان جمال مجد الله فيه، فكلامه عن الله جدال خالص لا يقوده إلى التمجيد والشكر والسجود اللائق به.

فالمجد والشكر والسجود للذي وهبنا كرامة البنوة للآب بموهبة صورته الإلهية إلى الأبد. آمين.

الفصل الثاني

«الجسد» و «الروح»[1]
ثنائية أم وحدة كيان ووجود ؟

قبل أن نفكر في مسألة غطاء رأس المرأة، أو أي فكرة تمس الجسد، يجب أن يمر تفكيرنا من خلال مجمل إيماننا المسيحي القويم الذي تسلمناه في كنيستنا المقدسة وما يختص منه بموضوع الجسد.

يستخدم الكتاب المقدس، وخاصة بعض نصوص رسائل بولس الرسول، لفظة "جسد" كرمز للإنسان الطبيعي بدون الروح القدس: "الإِنْسَانَ الطَّبِيعِيَّ لاَ يَقْبَلُ مَا لِرُوحِ اللهِ" (١كو٢:١٤). أما الإنسان الذي ولد من جديد بالروح القدس فيدعوه بـ "الرُّوحِيُّ" (١كو٢:١٥)، ويرمز له بلفظة «روح». فكثيراً ما تأتي كلمة "الروح" بمعنى الإنسان كله الحي بالروح القدس، كقول الرب يسوع لنيقوديموس: "اَلْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ" (يو٣:٦).

ففي نقاشه لهذه المسألة، يقول القديس كيرلس الإسكندري:

> "هل يمكننا أن نفصل الجسد عن النفس المتحدة به، ونقسم الشخص الواحد إلى إثنين، ألا نلغي بذلك وحدة الإنسان؟!... الرسول بولس[2] يعلم جيداً أن الإنسان واحد ويميز عقلياً فقط بين الإثنين، ولكننا ندرك في الواقع إنساناً

١- هذا الفصل مأخوذ بتصرف مع إضافات عن كتابنا: الصوم الكبير. مقدمة لدراسة قراءات الصوم الكبير. صـ ١٥٠-١٦٠.

٢- بخصوص: "وَإِنْ كَانَ إِنْسَانُنَا الْخَارِجُ يَفْنَى، فَالدَّاخِلُ يَتَجَدَّدُ يَوْماً فَيَوْماً" (٢كو٤:١٦).

واحداً رغم أن النفس توصف بالإنسان الداخلي، والجسد بالإنسان الخارجي. وأُنبِّه إلى أن الأسفار المقدسة تصف أحياناً الكائن كله بجزء جوهري فيه"[١].

ويؤكد القديس أيضاً بأنه:

"من عادة الكتاب الموحَى به أن يشير إلى الإنسان كله بكلمة "جسد" فقط لأنه يقول: "سأسكب روحي على كل جسد" (يؤ٢:٢٨س)، فإن الله لم يعط وعداً بأنه سيرسل روحه على كل جسد بدون نفس عاقلة تحييه، بل بالحري إلى الإنسان المركب من نفس وجسد"[٢].

ويزيد القديس مقاريوس الكبير التفسير وضوحاً، فيقول:

"الطبيعة البشرية، إن بقيت عارية، وبنفسها فقط ولم تنل الاتحاد والشركة مع الطبيعة الإلهية فإنها لا تستقيم أو تكتمل، بل تظل عارية ومستحقة للوم في طبيعتها الخاصة بسبب وضاعتها وأدناسها... وهكذا كانت مسرة الله، أن يأتي من السماء المقدسة ويأخذ طبيعتك العاقلة، فهو أخذ جسداً من الأرض ووحّده بروحه الإلهي، حتى تستطيع أنت (الأرضي) أن تنال الروح السماوي"[٣].

ونورد هنا على سبيل المثال بعض آيات من رسائل الرسول بولس، يستخدم فيها كلمتي "جسد" و "روح" بحسب علاقة وحياة الإنسان بالروح القدس:

١- القديس كيرلس الأسكندري. المسيح واحد: ٨

٢- القديس كيرلس الأسكندري. شرح قانون الإيمان: ٢٣ وله أيضاً: "الأسفار الإلهية غالباً ما تسمي الإنسان كله جسداً، أي تسمى الكل بإسم الجزء، فيشار تارة إلى الإنسان كله بإسم الجسد، وتارة يسمى الإنسان بالنفس وحدها... " (تجسد الابن الوحيد: ٢٦).

٣- القديس مقاريوس الكبير. العظة ٣٢:٦

* "مَنِ الْتَصَقَ بِالرَّبِّ فَهُوَ رُوحٌ وَاحِدٌ"[1] (١كو٦:١٧).

* "أَقْمَعُ جَسَدِي وَأَسْتَعْبِدُهُ"[2] (١كو٩:٢٧).

* "فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ سَاكِنٌ فِيَّ أَيْ فِي جَسَدِي[3] شَيْءٌ صَالِحٌ" (رو٧:١٨).

* "وَإِنَّمَا أَقُولُ: اسْلُكُوا بِالرُّوحِ[4] فَلاَ تُكَمِّلُوا شَهْوَةَ الْجَسَدِ[5]. لأَنَّ الْجَسَدَ يَشْتَهِي ضِدَّ الرُّوحِ وَالرُّوحُ ضِدَّ الْجَسَدِ... إِنْ كُنَّا نَعِيشُ بِالرُّوحِ فَلْنَسْلُكْ أَيْضاً بِحَسَبِ الرُّوحِ" (غل٥: ١٦-١٧، ٢٥).

١- هم الذين يدعوهم الرسول بـ "الرُّوحَانِيِّينَ". قابل: "أَيُّهَا الإِخْوَةُ، إِنِ انْسَبَقَ إِنْسَانٌ فَأُخِذَ فِي زَلَّةٍ مَا، فَأَصْلِحُوا أَنْتُمُ الرُّوحَانِيِّينَ مِثْلَ هذَا بِرُوحِ الْوَدَاعَةِ" (غل٦:١). يقول القديس مقاريوس الكبير: "لأنه كما أن نفخة الفم هي التي تنطق وتتكلم حينما تسري في آلات النفخ، هكذا فإن الروح القدس هو الذي يسري في القديسين الذين يحملون الروح، وهو يُسبِّح فيهم... الروح الذي نالته (النفس) يسبح فيها تسبيحاً جديداً لله بالدف الذي هو الجسد" (العظة ٤٧:١٤ على أن التسبيح بالدف الذي أمسكت به مريم بعد عبور إسرائيل البحر الأحمر هو مثال "أسرار النفس التي تحدث حقاً في الإنسان الذي يسعى باجتهاد أن يأتي إلى موعد الحياة... وتكون له شركة في الروح القدس").

٢- جاءت كلمة الرسول بولس: "أَقْمَعُ جَسَدِي وَأَسْتَعْبِدُهُ" في نهاية احتجاجه لدى الكورنثيين الذين يفحصونه، وقد أظهر لهم فيه أنه لم يستعمل معهم السلطان المُعطَى من الله للخدام "أَنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَ بِالإِنْجِيلِ مِنَ الإِنْجِيلِ يَعِيشُونَ" (١كو٩:١٤)، بعدما ظهر منهم نقصان خدمة العطاء. وقد زاد هذا الموضوع وضوحاً في رسالته الثانية لهم: "لأَنِّي بَشَّرْتُكُمْ مَجَّانًا بِإِنْجِيلِ اللهِ؟ سَلَبْتُ كَنَائِسَ أُخْرَى آخِذًا أُجْرَةً لأَجْلِ خِدْمَتِكُمْ، وَإِذْ كُنْتُ حَاضِرًا عِنْدَكُمْ وَاحْتَجْتُ، لَمْ أُثَقِّلْ عَلَى أَحَدٍ. لأَنَّ احْتِيَاجِي سَدَّهُ الإِخْوَةُ الَّذِينَ أَتَوْا مِنْ مَكِدُونِيَّةَ. وَفِي كُلِّ شَيْءٍ حَفِظْتُ نَفْسِي غَيْرَ ثَقِيل عَلَيْكُمْ، وَسَأَحْفَظُهَا" (٢كو١١:٧-٩). وقد عاش الرسول بولس بهذا القانون في كل كرازته، وقد يكون أقرب نصوص رسائل بولس المفسرة لها هو: "فَإِنِّي قَدْ تَعَلَّمْتُ أَنْ أَكُونَ مُكْتَفِيًا بِمَا أَنَا فِيهِ. أَعْرِفُ أَنْ أَتَّضِعَ وَأَعْرِفُ أَيْضًا أَنْ أَسْتَفْضِلَ. فِي كُلِّ شَيْءٍ وَفِي جَمِيعِ الأَشْيَاءِ قَدْ تَدَرَّبْتُ أَنْ أَشْبَعَ وَأَنْ أَجُوعَ، وَأَنْ أَسْتَفْضِلَ وَأَنْ أَنْقُصَ" (في٤:١١-١٢). إذاً، هي كلمة التزام رسولي مربوط بهدف تتميم الكرازة كقوله: "وَهذَا أَنَا أَفْعَلُهُ لأَجْلِ الإِنْجِيلِ لأَكُونَ شَرِيكاً فِيهِ" (١كو٩:٢٣).

٣- يتكلم الرسول بولس هنا بلسان الإنسان العتيق الأول الفاسد المرموز له بـ "الجسد"، لا باللسان الجديد للإنسان الجديد المرموز له بـ "الروح".

٤- أي "فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ" (٢كو٦:٦). أو "امْتَلِئُوا بِالرُّوحِ" (أف٥:١٨) ، أو "من خلال تعليم الإنجيل... بطريقة الإنجيل" (القديس كيرلس. شرح انجيل يوحنا٤:٢٣).

٥- يقصد الإنسان كله بدون الاتحاد والشركة مع الروح القدس، بما أن "الْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ" (يو٣:٦).

إذاً، الجسد جسماً أو بدناً وروحاً خلقهما الله، وكلاهما سقط في هوة الفساد، ومعاً يخلصان من الفساد، بقيامة الرب يسوع المسيح "مُخَلِّصُ الْجَسَدِ" (أف٥:٢٣). الذين يتهمون البدن وحده ويبرأون الروح يخطئون نحو جسدهم، فإن اتُهم الجسم أو الجسد وحده بأنه مصدر الخطية، فسيكون الجهاد الروحي من أجل العفة عملاً محصوراً في مقاومة واحتقار البؤرة الشريرة التي تسمى الجسد لحساب مايُظَن أنه الروح، الأمر الذي سيعمق آثار الفساد القديم الذي أصاب الطبيعة البشرية العتيقة وقد شُفيت في بشرية المسيح. سينسى الإنسان رأس الحية المحرك للشر وينشغل بالجسم المتحرك بالأوامر الصادرة من القلب. وينبه لذلك الخداع إرميا النبي: "اَلْقَلْبُ أَخْدَعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ نَجِيسٌ مَنْ يَعْرِفُهُ!" (إر١٧:٩)، وسفر الأمثال: "فَوْقَ كُلِّ تَحَفُّظٍ احْفَظْ قَلْبَكَ لأَنَّ مِنْهُ مَخَارِجَ الْحَيَاةِ" (أم٤:٢٣)، ويشوع بن سيراخ: "القلبُ أصل الأفكار ومنه تَصدر أربعةُ فروع: الخير والشر، والحياة والموت، والمتسلط على هذه في كل حين هو اللسان" (سيراخ٣٧: ١٧- ١٨)، والمسيح بقوله: "اَلإِنْسَانُ الصَّالِحُ مِنْ كَنْزِ قَلْبِهِ الصَّالِحِ يُخْرِجُ الصَّلاَحَ وَالإِنْسَانُ الشِّرِّيرُ مِنْ كَنْزِ قَلْبِهِ الشِّرِّيرِ يُخْرِجُ الشَّرَّ. فَإِنَّهُ مِنْ فَضْلَةِ الْقَلْبِ يَتَكَلَّمُ فَمُهُ" (لو٦:٤٥). يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: "فعبر العيون تنحدر الرغبة السيئة إلى النفس، ولكن لا العين ولا أي عضو آخر يكون السبب في ذلك"[١]. "الخطأ في القلب الذي يأمرها بذلك. هكذا أيضاً اللسان واليدان وسائر أعضاء الجسد، إذا لجَّمتها تكون آلات بر"[٢].

١- عن: وجهك يا رب ألتمس صـ ٣٩

٢- القديس يوحنا ذهبي الفم . شرح رومية ٦:١٢

إن استخدام بولس الرسول تضاد الرمزين: "جسد" و "روح"، لا يعني تأثره بثقافة تسلب من الجسد بهاءه الإلهي[١]. "فالأنثروبولوجيا السامية التي ورثها بولس تعتبر الإنسان كُلاً واحداً فتنظر إليه تارة من وجهة الجسد وتارة من وجهة الروح"[٢]. و"هذه الروح هي بالنسبة لي مرئية ومحسوسة، لأنها موجودة في العالم، ولأنها تمثلت عناصر تغذت منها واستوعبتها وأدت إلى جعلها لحماً. إن جوهر هذا اللحم الذي هو الإنسان، إنما هو الروح. فإذا انتُزِعَت الروح لا يبقى شيء، ولا يبقى "جسد". لا يبقى شيء إلا غبار العالم. وعليه فان اللغة العبرية تستخدم بلا فرق من أجل الدلالة على الإنسان الحي كلمات "روح" أو "لحم" التي تعني حقيقة واحدة، هي الإنسان الحي في العالم"[٣].

وأياً كانت النظرات والأفكار نحو الجسد، فإن الوعي المسيحي بالجسد يرتكز وبقوة، أولاً على جسد المسيح الذي تجلى فيه اللاهوت وسكنه وجعله واحداً معه محبة لكل البشر وأعطى أن يكون لهم شَرِكَة ووحدة بجسده. فليس إذاً جسد أعظم من جسد، ولا جنس أفضل من

---

١ الغنوسية Gnosticism تدل على البدع التي ظهرت في القرنين الثالث والرابع وتعتقد بثنائية تساوي الشر بالمادة والجسد. أما المانوية فتنتسب للفارسي ماني الذي مات سنة ٢٧٣م وعلم بوجود مبدأين أزليين للكون: النور والظلمة، الخير والشر، الروح والمادة (الجسم). إن إنكار الإيمان بالتجسد الإلهي بدعوى نزاهة اللاهوت عن الإقتراب من الطبيعة البشرية فحل في الجسد ما هو أقل من طبيعة اللاهوت (الهرطقة الأريوسية)، أو أن الإتحاد حدث بين الطبيعتين ولكن خارجياً (الهرطقة النسطورية)، أو أن جسد المسيح الإله لم يكن حقيقياً بل شبه جسد (الهرطقة الدوسيتية)، وغير ذلك من هرطقات، يمر من خلال هذه النظرات المشوهة للجسد. أما في تعليم القديس أثناسيوس الرسولي كنموذج للتعليم الكنسي، وفي كتابه "تجسد الكلمة" فيُعلِّم بأن: "الله خلق كل شئ بالكلمة من العدم" (٣:١). وأن "كل ما هو شر فهو عدم، وكل ما هو خير فهو موجود" (٤:٥). وأن "إرادة البشر يمكن أن تميل إلى أحد الاتجاهين (الخير أوالشر)" (٣:٤). كلمـــــة الله بتجسده "قدَّس الجسد" (١٧:٥) كله جسماً وروحاً، فصار الجسد هيكلاً مقدساً لتمجيد الله كقول الرسول بولس: "فَمَجِّدُوا اللهَ فِي أَجْسَادِكُمْ وَفِي أَرْوَاحِكُمُ الَّتِي هِيَ لِلَّهِ" (١كو٦: ٢٠). و"لم يكن الجسد بالنسبة لبولس كما كان بالنسبة إلى هيراقليط وأفلاطون. الجسد بالنسبة لهذين كان قبراً للروح" (جوزيف هولزنز. بولس الرسول. صـــ ٤١٤).

٢- الأب بولس الفغالي. المدخل إلى الكتاب المقدس جـــ ٥ شرح غلاطية صـــ ٢٥٣

٣- دافيد لوبرتون. أنثروبولوجيا الجسد والحداثة. صـــ٢٢

جنس بحسب التصنيفات الأرضية فإن "مَجْدَ السَّمَاوِيَّاتِ شَيْءٌ وَمَجْدَ الأَرْضِيَّاتِ آخَرُ" (١كو١٥: ٤٠). ويرتكز الوعي المسيحي بالجسد، كذلك على أسرار الحياة الجديدة التي نالها الجسد بالمسيح، فإن الجسد الذي يطلب بولس تغطية رأسه في الصلاة، هو جسد قد اصطبغ بصِبغة المسيح، ودُشن بالروح القدس، ووهب نعمة التبني للآب يوم معموديته، فهو جسد آخر، من هذا العالم بالطبع، وليس من هذا العالم بآن واحد.

فلنحذر كل الحذر من أي فكر يجرد الجسد من بهائه الإلهي، لئلا يتغرب البحث في أي موضوع إنساني، مثل تغطية رأس المرأة وغيره، بعيداً عن تعاليم الإنجيل.

الفصل الثالث

أهمية إدراك معنى الجسد والوعي به في حياتنا المعاصرة

أولاً: الجسد الإنساني[1] (عامة)

"ماذا يمثل الجسد في هذا الكائن الذي هو الإنسان؟ إنه المكان الحسي والموحد لوجود الإنسان في الزمن. يقع الجسد في المكان، فهو ما يحصل به الإنسان على وجود شخصي ويعيشه ويظهر حريته في علاقته مع نفسه ومع الآخرين ومع العالم ومع الله. فإن الإنسان بفضل جسده وفيه، يتصل بالآخرين وبنفسه، ويحب ويتألم مادياً ومعنوياً ويشعر بالفرح واللذة. وهو يقع أيضاً في الزمان، فيصبح تاريخاً. ففي جسدنا يُلخص تاريخنا الفردي كلما عشناه وصنعناه"[2]. "الجسد إذاً هو ما يُشخِّصنا. هو ما نوجد به"[3]. "الجسم "تعبير" النفس، والنفس هي "معنى" الجسم وإن العلاقة بين الاثنين تشبه علاقة الكلام بالفكر"[4].

الجسد الإنساني جسم حي ذو بعد روحي لا ينفصل عنه. هو جزء من شخصية الإنسان، وهو حضورها المرئي والفاعل في الكون كله، والعنصر الرئيسي في العلاقات الإنسانية، ومع هذا فله إمكانية التمتع

١- نؤكد هنا أننا لا نخص اللحم والدم أو الجسم مجرداً من النفس أو الروح عندما نستخدم كلمة "جسد" مرادفاً لكلمة "إنسان" كوحدة روحجسمية أو نفسجسمية، حسب السياق، لكن نضع "الجسد" في صدارة الكلام، كتعبير عن حضور أو ظهور أو وجود الإنسان.

٢- Bernard Sesboue عن الإسخاتولوجيا. دار المشرق. صـــ ١٢٥- ١٢٦

٣- الخلاص بالجسد. فصول. الهيئة المصرية العامة للكتاب صـــ ٣٣

٤- الأب إلياس مرقس. معرفة الله. دير مارجرجس الحرف صـــــ ١٧

بالخصوصية والكرامة في بيئة صالحة من القيم الروحية، أو انعزاله عنها وتالياً تشويه كينونته ووجوده. وللأسف، فقد بنيت معظم الحضارات على الفصل في الجسد بين الجسم والروح والتعامل مع الجسد الإنساني كوسيلة فقط للبقاء أو للبناء من أجل الرغبة في الخلود كشيء، كأداة فاقدة أو مسلوبة الفكر والإرادة الحرة، فنشأت أنظمة القهر والاستعباد منذ فجر الحضارات وحتى اليوم. حُقِر وقُهِر الجسد بقصد أو بدون قصد، بدعوى الحفاظ على الأمة أو الجماعة أو تخليد الزعماء حتى الفداء بالروح والدم، دم الشعوب الرخيص طبعاً. الذي تطور أو تحدث أسرع هو آليات قهر أو استخدام الإنسان للآخر. الذي ترأس وساد هو عالم الموْتِ وثقافة خَوْفاً منَ المَوْتِ[1]. الأقوى يبيد الأضعف ليحصل على بقائه أكبر وأعلى. "البقاء للأقوى" و "الغاية تبرر الوسيلة"... إلخ، صارت لغة ودين وإله هذا الدهر، فمن منقذ هذا العالم الشَّقيّ مِن جَسَدِ هذَا الموْتِ؟

يبدأ تحرير العالم إذاً، من الجسد وبالجسد، فهو إنطلاقة التحرير وساحته أيضاً. وإذا رغبت حضارة ما في تثبيت وجودها بقمع أو عزل أجساد البشر ممن هم معها أو عليها أو بتعزيز أنشطة الإنفلات الإباحي الصريح أو المبطن، أو تصعيد الفردية بدلاً من ترقية المسئولية الشخصية، فستعدم البشر الأسوياء الذين هم بالحقيقة أحرار، فلا يسود أو يتسلط إلا التخبط في دوامات التشوه والعشوائية.

ولقد شهد عصرنا الحالي نشوء وتطور علوم ودراسات عديدة خاصة بالجسد الإنساني في المجالات الفلسفية والأدبية والتربوية والفنية والتكنولوجية الحيوية والطبية وغيرها. وعلى سبيل المثال، يحظى بإهتمام بالغ ويثير جدالاً واسعاً ما بات يُعرف اليوم بـــ "أخلاقيات علوم الحياة

١- يعبر الشاعر أدونيس عن الداء القديم المتأصل في الطبيعة الإنسانية العتيقة، الذي هو الخوف من الموت، بقوله: "لا أقدر أن اقبل نفسي، إلا إذا نفيت الآخر. لا أقدر أن أحيا كذات، إلا إذا قتلت الآخر. آه كم يحييني أن أقتل غيري" (مدارات. عن سطور. مارس ١٩٩٨).

Bioethics" التي تربط بين الأخلاق وعلوم الحياة كالهندسة الوراثية وزرع الأعضاء والإخصاب الصناعي والإجهاض والموت الرحيم... إلخ. وبدون هذا الربط يصبح مصير الحياة الإنسانية كلها في خطر.

ومع تفتح تجارب الوعي بالجسد في هذا العصر، والنظر إلى الإنسان كوحدة واحدة نفسجسمية، بدأت الرغبة في تقطيع علاقات الاستعباد والاستبعاد تشغل العالم، حتى عبّرت عن نفسها في إعلانات ومعاهدات عالمية تقر حقوق الإنسان والأعراق وأصحاب الرأي وأتباع الديانات والأقليات والفئات المقهورة، بينما لا زالت تصارعها سراً وجهراً قوى التخلف والهيمنة والتسلط والفئات الرافضة للمساواة بين البشر.

ويمثل درجة وعي المجتمع أو الشخص بالجسد بمعانيه وحدوده وقدرته، نقطة مركزية في فهم هوية الرجل أو هوية المرأة الذاتية التي بدونها لن تقوم شخصية سوية حقيقية. وفي بحث عن الجسد وارتباطه بالهوية في عصرنا الحالي عصر العولمة، يخلص البحث إلى أن:

"الميل باتجاه مساواة الجسد بالهوية الذاتية قد أدى إلى اهتمام متزايد بتشكيل الجسد وتجميله والحفاظ عليه... ويقترح العديد من المؤلفين أن هناك ارتباطاً بين تعريف الذات وطريقة عرض الجسد والمحافظة عليه. يقدم إرفنج جوفمان تحليلاً مؤثراً حول كيفية عمل الجسد كوسيط بين الهوية الذاتية والهوية الاجتماعية في الحياة اليومية. إن الجسد يصبح الأداة الرئيسية في أداء الذات. و"لغة الجسد الخاصة Body Language" هي "علامات معبّرة متجسدة" تنقل المعلومات عن الذات للآخرين وتؤدي سيطرة تلك اللغة الخاصة بالجسد، والمهارات الاجتماعية الأخرى المتصلة بإدارة الجسد، إلى إنتاج الثقة ومشاعر الأمان. أما الجبن،

الارتباك، وعدم الشعور بالأمان فهي نتيجة للشعور بالقلق إزاء الجسد وتمثله، (مثلاً كيف يراه الآخرون) وما يتبع ذلك من محاولات لتقويم الجسد والاستفادة من النظرة المحدقة في تشكيل الجسد الصحيح أو المعترف به اجتماعياً[1]. إن هذه العمليات يمكن ملاحظتها بشكل أفضل عند النظر إلى المعايير المثالية للجمال وكيفية تحققها وتجسدها"[2].

ونقتبس أيضاً هذا النص الخاص بمعرفة هوية الجسد وأسرار حضوره واستيعاب علاماته وخبراته التي نتداولها في حياتنا شعورياً أو لا شعورياً:

"لكل زمان ولكل مجتمع أساليبه في بناء الجسد. وكعامل من عوامل الاتصال فإن الجسد هو حامل المعاني الاجتماعية والتاريخية والسياسية والدينية. إن الجسد هو محور ومرتكز تكاملنا في العالم، ولكي يكون فاعلاً ومؤثراً فإن الجسد قد أخذ على عاتقه أن يبرز ذاته خارج إطاره الشخصي لأن السلوك الجسدي وأعمال الجسد ووظائفه تفقد معناها من دون حضور جمهور متلق أو مشاهدين"[3].

١- أصبح يعرف اليوم ما يسمى "الجسد الاجتماعي Social Body" وهو الجسد الذي يحظى بقبول ورضا وانجذاب المجتمع بدون اشتراط التفوق في مواصفات ومقاييس جمالية عالية.

٢- في عصر اللاهوية. الجمال المصري في زمن العولمة. فصل من كتاب: Health and Identity in Egypt (الصحة والهوية في مصر) فرحة غنام. وجهات نظر. ديسمبر ٢٠٠٤ صـ ٣٠ ، ٣٢

٣- هذا النص مأخوذ عن دراسة للباحثة صافيناز نجيب. كلية الدراسات الاجتماعية والثقافية قسم تاريخ الأديان ـ جامعة أوسلو، بعنوان "الشهيد كشاهد. سير الشهداء القديسين القبطية والعربية القبطية كوسطاء للذاكرة الدينية". عن: International Review for the History of Religions, Vol. XLI No. 3 – Sept. 1994 – P, 223-224

الدراسة تخلص إلى أن جسد الشهيد في المسيحية هو بمثابة نَصّ أي رسالة، وتعتمد الدراسة على تحليل فن صياغة نصوص التقاليد القبطية التي تخص آلام الشهيد القديس بقطر بن رومانوس. حيث يجعل الشهيد بطاقة إيمانه جسده معروفاً يراه كل إنسان فيسمع ويتذكر نهاية سيرته ويتمثل بإيمانه الذي كان يحياه في جسده. وفي ضوء هذه الدراسة نتصور أيضاً كيف وعى بولس الرسول جسده كنص حامل لسمات الرب يسوع.

ثانياً: جسد المرأة (خاصة)

بالنسبة للمرأة اليوم لم يعد الجسد كما كان محدوداً بوظائف بيولوجية في أغلبها، بل صار صفحة حافلة بمفردات علمية وعملية ودينية واجتماعية وسياسية وثقافية مضيئة أو غير مضيئة أحياناً. إن جسد المرأة المعاصر - وهو آخر ثقافياً عن جسد المرأة في العصور القديمة - جسد ثري بقدرات ومكتسبات التعليم والعمل والقيادة والتحرر والمساواة والصحة الإنجابية المتعددة الجوانب والمطالب، والنشاط الرياضي والديني والعسكري والسياسي والاقتصادي والاجتماعي والفني...

وبينما طوّعه البعض إلى جزء من رأس المال في الإعلانات الاستهلاكية وصناعة مستحضرات وعمليات التجميل وموضة الأزياء والإتجار بالبشر بصوره المختلفة، طوعه البعض الآخر إلى أشياء أخرى كل حسب هواه وغاياته وإدراكه وعلاقته بجسده. إن إستغلال الجسد في استثمارات مادية أو إيديولوجية هو تغريب له عن الوجود السوي المأمول، خصماً من حساب تنمية أخلاقيات وجماليات التواصل الإنساني السوي.

ومن هذه الزاوية يتضح أهمية هذا القول:

"إن تغيير مكانة المرأة والمدركات الخاصة بدورها معادل لتفكيك العالم وجعله يدور حول نفسه عبثاً"[1].

وعليه فإن تغيير الرجل من إدراكه المرأة، يغير بالمثيل إدراكه لذاته باعتباره القطب الآخر شاء أم أبى، وبالتالي عالمه ووجوده كله. فدرجة التقدير والمساواة المنبعثة منه إلى المرأة، تعود إليه مرة أخرى مفعمة بالثقة والنظرة الإيجابية لرجولته. أما إذا رأى المرأة مجرد سلعة أو فتنة، فهو يقر ضمنياً بأنه ما هو إلا تاجرها الشاطر أو ذئبها الرابض. وإن تركزت

١- في عصر اللاهوية. الجمال المصري في زمن العولمة (مرجع سابق).

مدركات المرأة لنفسها حول طغيان فتنتها، فإنها إما أن تذعن شكلياً لسبل قهرها[1]. فما يُحرم أو يُقهر عليه الجسد علناً، سيقتنصه لنفسه سراً بإفراط ونهم، فلا يلبث أن يعي نفسه إلا جسداً ووجوداً مغترباً ومراوغاً ومختلساً. وقد يسيطر في ذلك الوضع على عقل المرأة نفسها الخوف من محاولات تنويرها أو تحريرها. أو قد تحوّل مدركاتها تلك لصالح السيطرة على عالمها بجسدها بألوان وأغراض متنوعة[2]، حتى يمسي هذا العالم مسرحاً لعداوة أو صراع خفي أو معلن يحاول كل أن يخضع الآخر لنفسه، ولا يعترف أحد بالآخر، كما يصح أن يكون الوجود.

١- "قمع تعبيرات الجسد عند المرأة عموماً، يجعل الطاقة الحيوية ترتد إلى الداخل على شكل فوران إنفعالي مفرط. جزء كبير مما يسمى مازوشية المرأة، ليس سوى إرتداد عدوانيتها المتفجرة نتيجة الإحباط المزمن، إلى ذاتها. أما الجزء الآخر من عدوانيتها فيتخذ سبيله إلى ممارسة الكيد والدس والحقد والحسد التي يشاع إجتماعياً إشتهارها به" (د. مصطفى حجازي. التخلف الإجتماعي. صـــ ٢١١).

٢- "من النتائج المرضية لوضعية القمع، كل مظاهر الإستعراض المسرحي، كل الهتاك (Exhibitionisme اللذة الجنسية من خلال الإستعراض) الذي تبديه المرأة. ذلك أنه عندما تحرم حق إمتلاك جسدها، والقدرة على التعبير المعاق عنه، فإنها لابد تلجأ إلى التعبير المرضي. فجذوة الحياة في الجسد لا تموت، مهما إشتد القمع، بل تتسرب في مسارب غير سليمة وغير سوية، مسارب تقود إلى إضطراب العلاقة بين الرجل والمرأة لا محالة. من خلال الهتاك تتحول المرأة إلى كائن نرجسي يستعرض جسده، كمظهر، كوسيلة للحصول على الإعجاب، وإنتزاع الشهوة. ولكنها تقف عند هذا الحد عاجزة عن المتعة، وحارمة إياها الرجل في آن معاً" (المرجع السابق صـــ ٢٢٦).

الفصل الرابع

المجتمع المصري وظاهرة التحرش الجنسي بالمرأة

المشكلة - تفسير - معالجة

التحرش الجنسي بالمرأة إختراق لحدود المرأة (الجسدية أو المعنوية) باللفظ أو بالنظر أو باللمس، بطريقة يغلب عليها العدوان والعنف، دون أي شعور بالذنب، بل غالباً ما يصحبه شعور بالحق والقوة والرجولة، برغم ما يخلفه من أذى جسدي نفسي عميق لدى المرأة المُتحرش بها، وفقدان المجتمع عامة الشعور بالأمان والإحترام.

وقد كشفت دراسة مصرية مصدرها المركز القومي للبحوث الاجتماعية[1] أنه يوجد ٢٠ ألف حالة اغتصاب وتحرش جنسي ترتكب في مصر سنوياً. وأن ٩٠٪ من الذين يقومون بالاغتصاب عاطلون...

وفي استطلاع عن التحرش الجنسي بالمرأة، قام به المركز المصري لحقوق المرأة، وبعد الإطلاع على العينات كانت المفاجأة، أن التحرش لا يرتبط بسن المرأة ولا بجمالها ولا بملابسها "المهم أنها إمرأة والسلام!!!". أثبت الاستطلاع أيضاً أن نسبة السيدات المتحرش بهن من العاملات في أعمال إدارية ٢٠٪ ، العمل العُمالي ٤٪ ، العمل الخدمي ٢٪ ، ربات المنازل ١٢٪، كما تتعرض إجمالاً ٣٠٪ من السيدات للتحرش يومياً. أكد الاستطلاع أيضاً أن الشكل الأكثر شيوعاً للتحرش هو اللمس والذي يمثل

١- ندوة بنقابة الصحفيين عقدها ملتقى المواطنة. عن: جريدة وطني الإصدار الثاني السنة ٧ العدد ٣١٨ الأحد ٢١ يناير ٢٠٠٧

٤٠٪ من أشكال التحرش، بينما تمثل الملاحقة ٣٨٪ ، والألفاظ البذيئة والإشارات ٢٨٪ ، والكشف عن الأعضاء ١٥٪ مما يؤكد أن الشارع المصري غير آمن بالنسبة للمرأة، فهي لا تمتلك أحقيتها في استخدام وسائل الحياة دون أن تتعرض لإهانات واعتداءات لا تستطيع دفعها حتى بالسبل القانونية، إذ أن الجريمة في مجتمعنا ترتكب بسرعة الصاروخ بينما ينفذ القانون بسرعة السلحفاة. وقد أكد هذا أيضاً أحدث تقارير الأمم المتحدة. وقد أثبت هذا التقرير أن تفشي الظاهرة يرجع إلى عدم الإبلاغ عنها للشرطة خوفاً من الفضائح والإشاعات . تفشي السلبية في المجتمع (وأنا مالي)... تجعل نسبة اللائي يستعن بالمارة محدودات لا تتعدى ٩٪ ... كما أن عدم القدرة على الاستعانة بشهود من المارة يعوق تنفيذ الأحكام الواجبة هذا إذا تم الإبلاغ عن واقعة التحرش. كما أن الصمت والخوف والرعب من الفضيحة هو موقف معظم السيدات اللاتي يتعرضن للتحرش.

"ولكن لماذا تؤثر النساء الصمت في هذه المواقف؟ الإجابة بالإجماع كالآتي: لأن المجتمع يلوم المرأة في كل الأحوال ويوجه إليها أصابع الإتهام حتى وهي ضحية فيتهمونها إن في مظهرها أو تصرفاتها ما شجع الرجال على التحرش بها"(١).

وتظهر دراسة عن العنف خطورة إلقاء اللوم آلياً على الضحية بأنه:

"عندما يُشرَّع العنف في معتقدات الجماعة وتقييماتها.

١- عن: جريدة الأهرام. عدد الجمعة ٢٧ أبريل ٢٠٠٧ (بتصرف).

كتب جُبران خليل جُبران قصة رمزية بعنوان: «الناقدون»، في كتابه: «السابق» عن رجل مسافر ربط حصانه أمام باب فندق، كغيره من النزلاء، وصعد ليبيت ليلته، ولما نهض المسافر من نومه وجد أن الحصان سُرق. فتجمع حوله أقرانه وبدأوا يعنفونه وينحون عليه باللائمة، «فدهش المسافر لبلاغتهم وفصاحتهم في الوعظ والإرشاد بعد فوات الأوان. ثم قال لهم وهو يتميز غيظاً: أيها الأصحاب، عندما سرق حصاني جاءتكم الفصاحة عفواً، فأسرعتم الواحد تلو الآخر تعددون هفواتي وزلاتي، ولكن يدهشني كيف أنكم، مع ما أوتيتم من قوة البيان، لم يقل أحد منكم كلمة عمّن سرق الحصان!» (عن المجموعة الكاملة المعربة عن الإنكليزية صـــ ٦٠).

بأنه تصرف مبرر، يعاد تركيز اللوم لانتهاك معيار الجماعة من المعتدي أو الجاني إلى الضحية. وعندما تنتقل مسئولية العنف إلى «لوم الضحية» يصبح دور التعاريف، والتصنيف، والتسمية دوراً جوهرياً... ويمكن (حينئذ) تحويل هدف العنف بطرائق تجعل من العنف ضد الضحية عنفاً مقبولاً اجتماعياً. على سبيل المثال، قد يوجد ادعاء يبرر الاغتصاب بالقول إن الضحية كانت استفزازية أو «سببت» رد فعل عدوانياً، فسيولوجياً، عفوياً لدى المغتصب، بدلاً من تحميل المعتدي المسئولية عن أفعاله... إن التصنيف غير الملائم يخفض من قيمة العنف المرتكب بحق الضحية. ولهذا التصنيف جانب معاكس من اللافعل ينكر معالجة العنف المرتكب بحق الضحية لأنه تم فعلياً عزل الضحية عن العالم الأخلاقي، وبالتالي ليس لها حق «شرعي» في طلب العدالة.

كما أن غياب سُلطة تدعم مطالب الضحية يترجم إلى تسامح مع العنف ضد الضحية وإلى قبول الإيمان بشرعية مثل هذا العنف. هذا هو عنف الإذعان، أي الاستسلام غير المباشر لشرعية العنف، الذي يحول دون الحل الفعلي لصدمة العنف. فهو يبقي الضحية معزولة عن الجماعة ودون وسيلة لاستعادة ثقتها بها وعضويتها فيها، ويسمح باستمرار إعادة تمثيل الصدمة كسلوك اجتماعي مألوف"(١).

١- باربرا ويتمر. الأنماط الثقافية للعنف صـ ٧٦- ٧٨. عندما "يصبح الافتراض هو ما يلي: "إذا كان مجتمعنا عادلاً فيتحتم أن تكون الضحايا قد أثارت الاعتداء وتستحق مصيرها" (المرجع نفسه صـ ٧٩)، فبنفس هذا المنطق أو المكيال التبريري الذي يكيل به مبررو العنف عادة في حوادث الاغتصاب أو التحرش الجنسي، سيُكال به أيضاً عندما تستخدم السُلطة العنف ضد جماعات مناوئة أو داعية للعنف أو التعصب أو الكراهية ضد آخرين، وبالتالي ــ وطبقاً لمنطقهم وقياساً بمكيالهم ــ "لا بد أن يكون كذلك المتعرضون لعنف من قبل السُلطات الجيدة (البوليس... إلخ) أشخاصاً سيئين... "!! (المرجع نفسه صـ ٧٩) وهذا استنتاج قد لا يقبل أيضاً.

وما نراه اليوم وفي كل الأحوال، وبصفة خاصة عقب كل حادث اعتداء جنسي على إمرأة أو تحرش جنسي فردي أو جماعي، أن يُلتمس العُذر في الغدر بضحية مستفزة. ويُحشد لذلك المزيد من التبريرات، التي لاتكشف بالأكثر إلا عن هشاشة القيم الرابطة للبناء المجتمعي المتوالدة فيه الكارثة تلو الكارثة. وهو في الحقيقة أوراق الشجر التي لا تستر عُري أخلاق أو ضمير التنصل من الإقرار المتواضع بالقصور في تحمل مسئولية تفشي أوبئة: الفردانية هرباً من المشاركة، والخوف خوفاً من الشجاعة، واللامبالاة هرباً من المسئولية، والقسوة هرباً من المودة، والتعصب خشية من المساواة، والنميمة واللغو الجارح والإشاعة هرباً من المساندة. الأولى هو نقد منهجية هذا الضمير وتفكيره التبريري الكارثي، وتتبع منابع هذه الأمراض الإجتماعية المتوطنة. فإن أي حجج من شأنها التنصل من المسئولية، بل وتحويلها إلى المعتدى عليه، الذي يوجَب عليه أن يؤمن أنه يتحمل مسئولية عدم تهذيب المعتدي، عوامل تشوه إدراك وضمير الجناة والمجتمع للحقائق، بل وتسهم في انتاج المزيد من العنف وأشكاله المتعددة.

كذلك، الإيمان أو تشجيع الإيمان، بأن المرأة وحدها تحمل مسؤولية التفكك الأخلاقي والاجتماعي، يخمد فرص المعرفة بالأسباب الحقيقية للمشكلة، ويحفز خلط الميول العدوانية بالميول الجنسية مما يزيد الحالة تردياً. هذا من شأنه، أن يرُخِّص رجل هذه المجتمعات لنفسه، بل ويعي نفسه بأنه مخلوق في حالة توتر جنسي دائم، مما يقوي عنده دافع توقع إذعان غير مشروط من الأنثى لهيمنة ذكورية متوهمة، ويقوى الدافع النفسي والسلوكي في إتجاه الإنسياق وراء الغريزة الجنسية[1]، وكأنها القوة العظمى أو الشيطانية القهارة الإنسان ألعوبتها،حتى يصبح ضبطها في الإتجاه السوي أمراً عصياً، وبالتالي تنامي ظواهر الإتصال الجنسي المشوش، والتيه في

١- كما عبر عن ذلك العهد القديم على سبيل المثال: "صَارُوا حُصُنًا مَعْلُوفَةً سَائِبَةً. صَهَلُوا كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى امْرَأَةِ صَاحِبِهِ. أَمَا أُعَاقِبُ عَلَى هذَا، يَقُولُ الرَّبُّ؟" (أر٥:٨-٩).

دوامات الهدر والتخلف.

لقد توصل علماء إلى أن "المشكلات الجنسية صورة من صور الإتصال الخاطئ التي تعكس صعوبات الإتصال الأخرى"[١]. أي أن النظر في مشكلاتنا الجنسية يجب أن يتم من خلال مجمل العلاقات وكفاءة علاقات التواصل الإنساني داخل المجتمع ككل. وتتفاقم مشكلة تشوش التواصل الإنساني السوي - ومنه الجنسي - في مجتمع ما مع شيوع عدم الاقتناع أو الرغبة في التربية أو التدرب الراقي على إستيعاب وإحترام الحدود المعنوية والجسدية المرسومة بين الناس وبعضهم البعض، وفي داخل أنفسهم أيضاً، وهو ما يؤدي إلى تزايد ممارسة اللذة الجنسية انفرادياً، والانحراف الجنسي، والطلب على الميديا الإباحية، والتحرش الجنسي.

إن خط وإعادة ترسيم الحدود الشخصية المعنوية والجسدية أصبح ضرورياً لصون المجتمع من كافة صور الفوضى والهواجس والوساوس المدمرة، وتثقيف وترويض العقول والأحاسيس على أن:

> "إدراك مشاعر المرء ورغباته لا يعني إطلاقاً التعبير عنها بلا حياء ودون تمييز أينما تواجد المرء ووقتما شاء. الحكمة والتمييز والتشخيص السليم - كما سنرى فيما بعد ـــ هي أجزاء من أي إدراك ناضج بالنفس. لكن كيف سيتمكن المرء من الوصول لقاعدة، للحكم من خلالها، ماذا سيفعل أو ما لن يفعله، ما لم يعرف أولاً ما يريده؟ أن يدرك المراهق أن لديه أحاسيس جنسية مشبوبة نحو تلك الفتاة الجالسة على مقربة منه في الفصل أو نحو أمه، لا يعني هذا الإدراك إطلاقاً أن عليه أن يتصرف وفق هذه الأحاسيس... فالمشاعر تظهر في شكل تكوين. مثلاً عندما نرى عشاءاً ضمن مسرحية على

١- لندا ل. دافيدوف. مدخل علم النفس صـــ ٤٥٤

الخشبة لا تتملكنا الرغبة في الأكل فقد أتينا للمسرح لرؤية مسرحية وليس للأكل... وفي أي رسم جميل لصورة شخص نجد أن الخلفية جزء لا يتجزأ من الصورة، وكذا فعل الشخص الناضج فهو جزء متكامل مع النفس في علاقة مع العالم المحيط به... لكن كلما إزداد تكامل الشخص، ترقُّ مشاعره"[1].

"في العالم المادي يسهل التعرف على الحدود المنظورة مثل الأسوار والعلامات[2]... في العالم الروحي... يصعب التعرف على الحدود. الحدود تعرفنا بما هو لي، وما هو ليس لي. وهي ترشدني أين تنتهي حدودي "أنا" وتبدأ حدود "الآخر"، وتقودني إلى الإحساس بالخصوصية"[3].

ليس على طريقة رتق ثوب عتيق برقعة جديدة، بل بتجديد الإنسان كله وخلع كل العتيق الفاسد الذي فيه، وإلباسه الجديد الذي يجدد معرفته وفكره وجسده وكل حياته وحضارته حسب الصورة الكاملة التي وهبها له خالقه ومجدد خلقته، نحتاج تنمية إيمان عميق وتعلُّم وممارسة واضحة للمساواة والحرية والكرامة الإنسانية، وإدانة ومقاومة قوية لكل أشكال انتهاك جسد الإنسان وأجساد المجموعات الإنسانية المتنوعة إن بالقهر أو العنف أو الترويع أو الترهيب أو الاحتيال أو التمييز العنصري أو الجنسي، أو الاعتداء والتحرش الجنسي بالمرأة.

١- رولو ماى. بحث الإنسان عن نفسه صـ ١٠٢-١٣٠ (بتصرف).

٢- كما عبر عن ذلك العهد القديم في غير موضع، وعل سبيل المثال: "لاَ تَنْقُلِ التُّخْمَ الْقَدِيمَ، وَلاَ تَدْخُلْ حُقُولَ الأَيْتَامِ" (أم٢٣: ١٠). "وَيْلٌ لِلَّذِينَ يَصِلُونَ بَيْتًا بِبَيْتٍ، وَيَقْرِنُونَ حَقْلاً بِحَقْل، حَتَّى لَمْ يَبْقَ مَوْضِعٌ" (أش٥: ٨) (الكاتب).

٣- د. هنري كلود، د. جون تاونسند. الحدود صـ ٢٩-٣٠

الفصل الخامس

أفكار حول الحياة المسيحية والحشمة

الحشمة في المفهوم المسيحي، واسعة الجوانب وعميقة المناقب، تستمد تعريفها وممارستها من منابع التعليم اللاهوتي والعبادة والحياة المسيحية بالروح القدس، دون تنكر أو احتقار لعطية الجمال الإلهي في الإنسان.

"الإنسان هو صورة مجد الله وجماله غير الموصوفين. والتأمل في جمال الإنسان والابتهاج به هما تقدمة الشكر إلى الله نفسه. ولكن الجمال، مثل كل شيء في هذا العالم، قد حُجب ووضع وشوه، فصار جمالاً ساقطاً. ونحن نميل دائماً إلى رفضه ببساطة، معتبرين أنه تجربة شيطانية. ولكن خبرة الكنيسة ليست على هذا النحو. فإنه، على الرغم من تدنيه يبقى إلهياً على الدوام، لأنه علامة الله وسمته في مخلوقاته. الإنسان جميل ويجب أن يستعاد إلى جماله. وعليه أن يبتهج بهذا الجمال ويقدم الشكر إلى الله من أجله"[1].

* * *

للحشمة والتعفف تراث إنساني أصيل كونته عوامل عدة، ثقافية وبيئية وحضارية وتاريخية على مدى قرون طوال، وإن اختلفت تعبيراته ومظاهره هنا وهناك. فلا ترتبط ثقافة الحشمة شكلاً أو موضوعاً بتدين أو معيار معين حصراً وقصراً، فإن "المعايير الإجتماعية (القيود والمستويات المرجعية أو القواعد الموجودة داخل الجماعة) التي توجه الحياة البشرية

١- الأب ألكسندر شيمن. بالماء والروح صـ ١٨٧

تختلف من ثقافة إلى أخرى. ويميل أفراد كل مجتمع إلى النظر إلى مستوياتهم على أنها طبيعية. وللمعايير الإجتماعية فعلاً آثار على السلوك حتى ولو لم يدرك الأفراد ذلك..."[1].

* * *

في رسالته إلى تلميذه تيموثاؤس الأسقف يوصي الرسول بولس بما يجب أن يسود الحياة واجتماعات الصلاة المسيحية: "فَأُرِيدُ أَنْ يُصَلِّيَ الرِّجَالُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، رَافِعِينَ أَيَادِيَ طَاهِرَةً، بِدُونِ غَضَبٍ وَلاَ جِدَالٍ. وَكَذلِكَ أَنَّ النِّسَاءَ يُزَيِّنَّ ذَوَاتِهِنَّ بِلِبَاسِ الْحِشْمَةِ، مَعَ وَرَعٍ وَتَعَقُّلٍ، لاَ بِضَفَائِرَ أَوْ ذَهَبٍ أَوْ لآلِئَ أَوْ مَلاَبِسَ كَثِيرَةِ الثَّمَنِ، بَلْ كَمَا يَلِيقُ بِنِسَاءٍ مُتَعَاهِدَاتٍ بِتَقْوَى اللهِ بِأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ" (١تي٢:٨-١٠). "كَذلِكَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ النِّسَاءُ ذَوَاتِ وَقَارٍ، غَيْرَ ثَالِبَاتٍ، صَاحِيَاتٍ، أَمِينَاتٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ" (١تي٣:١١).

وفي كتاب الحكمة ليشوع بن سيراخ يقول:

"المرأةُ المُحتَشمةُ نِعمةٌ على نِعمة، والنفس العفيفةُ لا قيمةَ توازنُها" (سيراخ٢٦:١٥).

ويعظ القديس كيرلس الأورشليمي، المقبلين إلى المعمودية من خلفيات وثنية ويهودية، قائلاً:

"فلنسارع إذاً جميعاً، بنعمة الله، إلى سباق الطهارة أحداثاً وعذارى، شيوخاً وأطفالاً، لنسبح اسم المسيح بعيدين عن الشراهة، ولا ننكر مجد العفة، إنها تاج ملائكي وفضيلة تسمو بالإنسان. ولنحترم أجسادنا التي يجب أن تضيء كالشمس (مت١٣:٤٣)، ولا ندنس هذا الجسد العظيم

١- لندال. دافيدوف. مدخل علم النفس صـ ٧٤٣-٧٤٥ (بتصرف).

لأجل لذة طفيفة. إن الخطيئة قصيرة تدوم ساعة، ولكن العار جسيم ويدوم مدى الأبد. إن الذين يمارسون العفة ملائكة على الأرض، وللعذارى نصيب مع العذراء مريم. فلنبتعد عن كل تبرج وكل نظرة سيئة وكل حديث باطل، وكل زينة وعُطر مثير للأهواء. وليقتصر عطرنا على رائحة الصلاة الزكية وممارسة أعمال الخير وتقديس الأجساد، حتى يتسنى للمولود من العذراء أن يقول عنا نحن الذين يمارسون العفة من رجال ونساء "إني سأسكن فيهم وأسير بينهم، وأكون إلههم ويكونون شعبي (٢كو٦:١٦؛ لا٢٦:١١-١٢)"[١].

* * *

إليك هذا الوصف، كجزء من وصف رائع لحياة المسيحيين الأولين، يحتوي على مفهوم وتطبيق الحشمة في إطار الحياة المسيحية الأكمل والأشمل:

"إن المسيحيين لا يختلفون عن سواهم من أبناء البشر في الوطن أو اللغة أو العادات.

والواقع أنهم لا يقطنون مدناً خاصة بهم وحدهم، ولا يتكلمون لغة خاصة بهم، ولا يعيشون عيشة غريبة شاذة...

ومع أنهم يسكنون في مدن يونانية وغير يونانية حسب نصيب كل منهم، ويسلكون بموجب عادات البلد الذي يحلون فيه من جهة الزي[٢] والطعام وأساليب المعيشة الأخرى، فإن أسلوب معيشتهم يستوجب الاعجاب والإقرار بأنه غير متوقع.

١- العظات ١٢:٣٤ صـ ٢٠٨

٢- يقصد الزي المدني للمواطنين المتعارف عليه آنذاك.

تراهم يسكنون البلدان ولكنهم غرباء.

هم يشتركون في كل شيء كمواطنين ولكنهم يحتملون كل ما يحتمله الغرباء.

كل بلد أجنبي وطن لهم. وكل وطن لهم بلد غريب.

يتزاوجون كغيرهم ويتوالدون. ولكنهم لا يهملون أولادهم ولا يعرضونهم للموت.

يفرشون طعامهم للجميع ولكنهم لا يفرشون فراشهم.

هم موجودون في الجسد ولكنهم لا يعيشون للجسد.

يقضون أيامهم على الأرض ولكنهم مرتبطون بوطن سماوي.

يطيعون القوانين المرعية لكنهم يتقيدون بأكثر منها في حياتهم الخصوصية.

يحبون جميع الناس ولكن الجميع يضطهدونهم... ومع ذلك فالذين يكرهونهم يعجزون عن سبب ذكر كراهيتهم لهم.

المسيحيون لا يسيئون إلى العالم ولكن العالم يكرههم لأنهم يقاومون ملذاته...

وبالاختصار فإن المسيحيين للعالم كالروح للجسد. الروح تمتد إلى جميع أعضاء الجسد والمسيحيون ينتشرون في جميع مدن العالم، وكما أن الروح تسكن في الجسد وهي ليست منه، فهكذا المسيحيون فإنهم يسكنون في العالم ولكنهم ليسوا منه...

هذا هو الوضع الذي وكلهم الله به ولا يجوز لهم أن يتخلوا عنه"[1].

لم يكن عند أولئك المسيحيين الأولين - وكانوا أقلية عددية في مملكة وثنية أذاقتهم أشد أنواع الاضطهاد - الرغبة في خلق "هُم" و "نحن" في التعايش مع غيرهم. لم يرغبوا ولم يقعوا في إغراء هدم الجسور التي تحفظ وحدة المجتمع دون استلاب أو تفريط في استقامتهم، فلا يخرج من تدينهم إلى المجتمع إلا روحه الذكية وخُلاصته الطيبة، وكل ما يؤدي إلى الرغبة العميقة في التواصل السوي والابتعاد عن وضع العثرات والفخاخ في سبيله. فالجسد عندهم رسالة كارزة تحمل للعالم "سِمَات الرَّبِّ يَسُوعَ" (غلا٦:١٧) أي بذل المحبة الطاهرة في خدمة العالم. وهذا هو روعة وجمال حشمة المسيحيين الحقيقية.

* * *

١- الرسالة إلى ديوجينيتس: ٥-٦ صـ ١٦-٢٠ (الرسالة إلى ديوجينيتس، رسالة دفاع عن المسيحية، في صورة خطاب موجه إلى شخصية وثنية ذات مركز اجتماعي رفيع هو "ديوجينيتوس" الذي طلب من صديقه المسيحي المجهول الاسم أن يزوده بمعلومات عن المسيحية، فأرسل له هذه الرسالة بناء على طلبه. وليست لدينا أية معلومات عن الراسل أو عن المرسل إليه. ربما تعود الرسالة إلى القرن الأول أو الثاني الميلادي).

الباب الثاني

الفصل الأول

الأساس اللاهوتي
لتغطية رأس المرأة أثناء الصلاة الليتورجية

تقع عظة الرسول بولس عن صلاة المرأة وهي مغطاة الرأس في رسالته الأولى "إِلَى كَنِيسَةِ اللهِ الَّتِي فِي كُورِنْثُوسَ" (١:٢) ضمن عظاته على الآداب والتقوى التي يجب أن تسود الجماعة أثناء إقامة صلواتها الليتورجية حول مائدة الرب. الإطار ليتورجي إذاً، فالغطاء (البرقع) ليس للشارع ولا للمنزل بل للصلاة فقط. الغطاء لا يتعدى الأمر بوجوب استخدامه في صلوات الكنيسة، إلى خارجها.

لماذا عَلَّم الرسول بولس بأن الصلاة الليتورجية هي المناسبة لتغطي المرأة رأسها خلالها؟

لأن اجتماع الكنيسة للصلاة يُعلن عن تكوين الكنيسة على مثال المحبة المعلن بمحبة ونعمة وموهبة الآب والإبن والروح القدس في الكنيسة، وأيضاً على مثال المحبة الكائن في الثالوث القدوس والذي أظهره لنا ربنا يسوع في تعليمه وحياته المقدسة بيننا. لذلك جاء كل تعليم الرسول في هذه الرسالة لمدح وتشجيع كل ما يسهم في تكوين الكنيسة، وإنذار أعضاء الكنيسة تجاه كل ما يشوب تكوين كنيستهم.

الكنيسة ليست مجتمعاً مثالياً منشوداً، أو مدينة فاضلة مرتقبة، لكنها أيقونة حية للمحبة الكائنة داخل الثالوث القدوس. فلا يمكن أن يحققها جوهرياً جبرية قانون أو شريعة، بل يحققها التشبه بمحبة الثالوث بنعمة وقوة

الثالوث نفسه. "لأن الرب أسس الكنيسة الجامعة وأصلها في الثالوث"[1]، وبالتالي فإن جذر الفكرة الإنجيلية للغطاء أو المَنْديل أو البُرْقُع – أو أي ترتيب كنسي آخر – هو في محبة الثالوث القدوس. إن مبادئ أخلاقية تسعى لنفي الشر والخطية بزرع الخوف والعزلة، ولا تعلن ولا تشرح ولا تمارس شيئاً ما في المحبة الإلهية، تطرد خطية بخطية. الفكرة الإنجيلية لصلاة المرأة وهي مغطاة الرأس تجيء بالشفافية والاستنارة وليس بالغموض أو الظُلمة أو الخوف أو الوساوس أو الهواجس لأن "اللهَ نُورٌ وَلَيْسَ فِيهِ ظُلْمَةٌ الْبَتَّةَ" (١يو١: ٥).

وقد كشف الرسول بولس أن في الصلاة الليتورجية خاصة، يصبح الجسد حاملاً رسالة مقروءة. الرجل كمثال للمسيح الرأس الحقيقي لا يغطي رأسه في الصلاة، وكأنه يخفي رأس الكنيسة أي المسيح الذي لا يخفيه أو يغطيه مجد آخر "كُلُّ رَجُلٍ يُصَلِّي أَوْ يَتَنَبَّأُ وَلَهُ عَلَى رَأْسِهِ شَيْءٌ يَشِينُ رَأْسَهُ" (١كو١١: ٤). فحين يكشف الرجل رأسه يعلن عن حضور المسيح الذي هو "فَوْقَ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ وَسِيَادَةٍ، وَكُلِّ اسْمٍ يُسَمَّى لَيْسَ فِي هذَا الدَّهْرِ فَقَطْ بَلْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَيْضًا، وَأَخْضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ، وَإِيَّاهُ جَعَلَ رَأْسًا فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ، الَّتِي هِيَ جَسَدُهُ، مِلْءُ الَّذِي يَمْلأُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ" (أف١: ٢١-٢٣). أما المرأة كمثال للكنيسة التي رأسها المسيح، فهي حين تغطي رأسها فهي تعلن عن أن للكنيسة رأساً ومخلصاً تقدم له المجد والإكرام والسجود.

تؤسس وتجدد الليتورجيا إذاً، الوعي الضروري بهوية ووجود وغاية خدامها المشاركين فيها. تكتسب المرأة – وكذلك يفهمها الرجل أيضاً – وعياً جديداً بذاتها بأنها – مثال الكنيسة – تتزين وتتغطى بمحبة المسيح، كأيقونة مرسومة بيد ذاك الذي زين الكنيسة وغطاها بنعمته ومجده. ينظر

١- القديس باسيليوس الكبير. الروح القدس٣:٦ صـ ١١٦

الرجل للمرأة، والمرأة للرجل من خلال محبة المسيح للكنيسة، وكلاهما مُغطى بمسحة واحدة من الواحد القدوس. فعندما نشترك معاً في القداس نعود جميعاً كجسد واحد إلى الرأس المسيح، بصورة تعلو فوق كل صور الوحدة البشرية الطبيعية، أو فكر الانقسام وتفضيل الذات والنظر كل واحد للآخر كوسيلة لإشباع أنانيته وأطماعه.

ومن بعد أن يتحد المسيحي مع المسيح في القداس بكل قلبه وقدرته، يرى العالم والبشر بأنواعهم واختلافاتهم بعينين جديدتين، ويحيا متضامناً مع البشر وكل الخليقة من خلال رؤية المسيح نفسه للعالم الذي أحبه وبذل نفسه لأجله. وهكذا بالليتورجيا وما تحمله من حق، ترسم الكنيسة أيقونة محبة المسيح للبشر. بل تصير هي نفسها أيقونة حية، تنتظر بشوق أن يضع المسيح لمسته الأخيرة عليها يوم أن يأخذها إلى سمائه الجديدة، حيث تتجلى الرموز والعلامات والمثالات إلى الحق، ويزداد الحق الذي فيها وهجاً وسطوعاً.

ولا وقت أفضل من الصلاة الليتورجية، نتعلم ونختبر فيه كيف ننظر بعضنا إلى بعض، مثلما سوف ننظر بعضنا في الأبدية.

يقول القديس يوحنا التبايسي:

> "كل إنسان قد اعتمد لا ينبغي أن ننظر إليه في هذه الحياة بل في تلك الحياة المزمعة. ولا نتفرس إلى أعماله الحاضرة، بل إلى تدبيره الذي سيكون هناك... كما أننا سنتفرس هناك في الآخرة كل واحد في الآخر بضمير واحد ولا نفكر أننا إثنان منفصلان الواحد عن الآخر. فهكذا ينبغي أن نتضع ههنا بعضنا لبعض بالحب وبالاتحاد. فأعتبر نفسي كأني أنت، وأنت أنا. كما أن المسيح قد سما بنا بحبه المفرح إلى اتفاق وحدانية كاملة في مملكته الحقيقية. كما ذكر ذلك في صلاته

إلى أبيه عن تلاميذه قائلاً: ”ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد“ (يو١٧: ٢٢).

يا للحق الذي ليس له مثال! يا للقوة الكاملة التي ليس لها احتياج! هذا هو الدهش والتعجب، إذ أناس مختلفون في هذا العالم الكثير الأشكال والتعقيد، صاروا متحدين بمعرفة في بلد الحق. لأن الحب يقدر أن يمزج حبه مع أحبائه.

يا لعظمة الحب الإلهي! كم هو قوي وكامل في ذاته! وها هو يترل إلينا ليكون بنا مثلنا، لكي نكون نحن مثله في صفاته بالمسيح ربنا آمين... فيجب أن نطالب ذواتنا بتقديم أجسادنا لتتعبد للحق غير الخاضع للتطور والزمن"[١].

ويقول القديس مقاريوس الكبير:

"في قيامة الأجساد، التي سبق أن أُقيمت نفوسها قبلاً وتمجدت، فإن الأجساد أيضاً تتمجد حينئذ مع النفوس، وتستنير بالنفس التي قد استنارت وتمجدت في هذه الحياة الحاضرة لأن الرب هو بيتهم، وخيمتهم ومدينتهم. وهم يلبسون مسكناً من السماء ”غير مصنوع بأيدي“ (٢كو٥: ١)، وهو مجد النور الالهي إذ قد صاروا أبناء النور. وهم لن ينظروا إلى بعضهم البعض بعين شريرة، لأن الشر قد نزُع منهم. وهناك ”لا يوجد ذكر وأنثى ولا عبد وحر“ (غل٣: ٢٨) لأن الجميع يتغيرون إلى طبيعة القداسة الإلهية ويصيرون ذوي صلاح وخير، وأبناء لله. هناك يخاطب الأخ أخته بسلام بلا خجل أو تشويش، لأن الكل واحد في المسيح ويستريحون في النور الواحد. والواحد ينظر إلى الآخر

١- القديس يوحنا التبايسي. الآباء الحاذقون في العبادة صـــ ١١٠- ١١١ ، ١٦٣

وفي نظره يضيء بالحق، في التأمل الحقيقي للنور الذي لا يُعبر عنه. وهكذا بأشكال كثيرة، وأمجاد إلهية كثيرة متنوعة ينظرون بعضهم بعضاً وكل منهم يندهل ويفرح "بالفرح الذي لا ينطق به" (١بط١:٨) إذ ينظرون مجد بعضهم البعض. انظر كيف أن أمجاد الله تفوق كل تعبير ونُطق وتفوق كل فهم فهي أمجاد النور الذي لا يُعبر عنه والأسرار الأبدية وخيرات لا تعد ولا تحصى"[1].

٣-٢:٣:

الفصل الثاني
المرأة مثال الكنيسة

عن الإنسان الذي صار هيكلاً للروح القدس، يقول القديس مقاريوس الكبير: "ذلك الكيان الذي خلق على صورة الله، هو كنيسة الله الحية والحقيقية"[١]. ويقول القديس كيرلس الأورشليمي: "السماوات هي أيضاً هؤلاء الذين يحملون صورة العالم السماوي، والذي يسكن الله فيهم ويقيم"[٢].

في الكتاب المقدس، المرأة والرجل معاً، يعتبران مثالاً لأمور عالية سماوية حقيقية، وهذا المثال لا ينتقص شيئاً إنما يضيف ويغني وجودهما إنسانياً وروحياً. المرأة كمثال للكنيسة، وهي مع الرجل كمثال للمسيح، الكنيسة الحقيقية. ولكن المرأة تختص بمثال الكنيسة بقبولها واستجابتها لحب المسيح مقابل حبه، كما يختص الرجل بمثال المسيح الذي أحب كنيسته إلى المنتهى، والإثنان لا ينفصلان. ويشرح هذه الأسرار المجيدة أبونا القديس مقاريوس قائلاً:

> "فإن الله أراد أن يقيم شركة مع النفس البشرية. ويخطبها لنفسه كعروس للملك، ويغسلها ويطهرها من كل دنس. ويجعلها بهية مضيئة بدلاً من سوادها وعارها، ويحييها من الموت، ويشفيها من انكسارها، ويعطيها السلام ويصالحها لنفسه من بعد العداوة. ورغم أن النفس مخلوقة، الا أن الله

١- العظة ١:٥٢ عن مرقس. سبتمبر ١٩٩٤ صـ ١٦

٢- العظات ١١:٢٣ صـ ٤٠٨

يخطبها عروساً لابن الملك ويضمها إليه بقدرته الخاصة، ويغيرها شيئاً فشيئاً وينميها ويزيدها بفيض نعمته. فهو يوسع النفس ويقودها إلى نمو وازدياد بلا حدود ولا قياس، إلى أن تصير عروساً بلا عيب وبلا لوم تليق به. فإنه يلد النفس فيه أولاً، ثم بنفسه ينميها بفعل نعمته، إلى أن تصل إلى قامة محبته الكاملة فلأنه هو عريس كامل، لذلك فهو يأخذها كعروس كاملة له إلى شركة العرس المقدسة، السرية الطاهرة، وحينئذ فانها تملك معه إلى أبد الدهور آمين"[1].

هكذا كان يخاطب الله شعبه القديم في مثال العروس:

"وَكَفَرَحِ الْعَرِيسِ بِالْعَرُوسِ يَفْرَحُ بك إلهُك" (أش٦٢:٥).

"وَيُسَمُّونَهُمْ: "شَعْبًا مُقَدَّسًا"، "مَفْدِيِّي الرَّبِّ". وَأَنْتِ تُسَمَّيْنَ: "الْمَطْلُوبَةَ"، "الْمَدِينَةَ غَيْرَ الْمَهْجُورَةِ" " (أش٦٢:١٢).

وهكذا يُظهر الرسول بولس خضوع النساء لرجالهن ومحبة الرجل، استناداً على علاقة المسيح بالكنيسة شعبه الجديد:

"أَيُّهَا النِّسَاءُ اخْضَعْنَ لِرِجَالِكُنَّ كَمَا لِلرَّبِّ، لأَنَّ الرَّجُلَ هُوَ رَأْسُ الْمَرْأَةِ كَمَا أَنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا رَأْسُ الْكَنِيسَةِ، وَهُوَ مُخَلِّصُ الْجَسَدِ. وَلكِنْ كَمَا تَخْضَعُ الْكَنِيسَةُ لِلْمَسِيحِ، كَذلِكَ النِّسَاءُ لِرِجَالِهِنَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ. أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ كَمَا أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضًا الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا" (أف٥:٢٢).

ينطلق الرسول بولس من الاكليسيولوجيا لإعلان هويّة المرأة الجديدة. هي الوارثة مثال المرأة في العهد القديم للشعب الذي أقام الله معه عهد

١- القديس مقاريوس. ١٧:٤٧

الارتباط والمحبة والوفاء كما الرجل البار لإمرأته. "الكنيسة محبوبة من المسيح كعروس مجيدة مقدسة غير دنسة وبلا عيب، إنها ليست بعد شخصية معينة، بل الجسد كله الذي تشمله"[1]. وبالتالي فمسألة غطاء رأس المرأة في الصلاة، يحكمها منطق ذو خصوصية إكليسيولوجية خالصة. وقبول المرأة الغطاء داخل هذا المضمون، ينسجم مع مثالها الكنسي.

١- أمبروسيوس. عن: آبائيات صـــ ٤٨

الفصل الثالث

"لِهَذَا يَنْبَغِي لِلْمَرْأَةِ أَنْ يَكُونَ لَهَا سُلْطَانٌ عَلَى رَأْسِهَا مِنْ أَجْلِ الْمَلاَئِكَةِ" (١١:١٠).

يذكر الرسول بولس الملائكة هنا في سياق كلامه عما يجب أن تكونه صلاة الكنيسة في كورنثوس، الصلاة والملائكة يرتبطون إذاً في هذا النصّ. وعن الملائكة يقول الرسول: "أَلَيْسَ جَمِيعُهُمْ أَرْوَاحًا خَادِمَةً مُرْسَلَةً لِلْخِدْمَةِ لأَجْلِ الْعَتِيدِينَ أَنْ يَرِثُوا الْخَلاَصَ" (عب١:١٤). فالصلاة هي الوقت المناسب للإحساس بخدمة الملائكة، ومشاركتنا معهم في تمجيد وتقديس الله الذي تتبع حضوره الملائكة. وهم يحفظون خدمتهم بنظام حتى أنهم يغطون وجوههم بخشوع أثناء الصلاة التي تقدمها الكنيسة، وهو ما يجب أن نتعلمه ونعمله في صلواتنا وليتورجياتنا.

وفي "تفسير قمراني لنصّ تث٢٣:١٥، قال النصّ العبري: الرب يسير في وسط المحلة. فأحلت جماعة قمران لفظة ''الملائكة'' محلّ لفظة الله، محافظة على جلالته. فصار النصّ: الملائكة يسيرون في وسط المحلة، فأي موقف نتخذه إكراماً لهم! وقد يكون المعنى أنه كما يغطي الملائكة وجوههم أمام الحضرة الإلهية، هكذا تغطي المرأة رأسها بشعرها إكراماً لرجلها... حضور الملائكة غير المنظور يدعونا إلى النظام والحشمة في الإحتفالات الليتورجية"[1].

١- الخوري بولس الفغالي. رسالة القديس بولس إلى أهل كورنثوس صـ ١٣١

وعن إحساس الإنسان بحضور الملائكة عند المثول في حضرة الله، يقول الجامعة: "لاَ تَدَعْ فَمَكَ يَجْعَلُ جَسَدَكَ يُخْطِئُ، وَلاَ تَقُلْ قُدَّامَ الْمَلاَكِ: "إِنَّهُ سَهْوٌ". لِمَاذَا يَغْضَبُ اللهُ عَلَى قَوْلِكَ، وَيُفْسِدُ عَمَلَ يَدَيْكَ؟" (جا٥: ٦).

ويخبرنا سفر أعمال الرسل، أن ملاكاً أخبر كَرْنيلِيُوس الأممي "وَهُوَ تَقِيٌّ وَخَائِفُ اللهِ مَعَ جَمِيعِ بَيْتِهِ، يَصْنَعُ حَسَنَاتٍ كَثِيرَةً لِلشَّعْبِ، وَيُصَلِّي إِلَى اللهِ فِي كُلِّ حِينٍ. فَرَأَى ظَاهِرًا فِي رُؤْيَا نَحْوَ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ مِنَ النَّهَارِ، مَلاَكًا مِنَ اللهِ دَاخِلاً إِلَيْهِ وَقَائِلاً لَهُ: يَا كَرْنِيلِيُوسُ!. فَلَمَّا شَخَصَ إِلَيْهِ وَدَخَلَهُ الْخَوْفُ، قَالَ: مَاذَا يَا سَيِّدُ؟ فَقَالَ لَهُ: صَلَوَاتُكَ وَصَدَقَاتُكَ صَعِدَتْ تَذْكَارًا أَمَامَ اللهِ" (أع ١٠: ٢-٤).

وعن خدمة الملائكة للمؤمنين يقول الرب يسوع: "اُنْظُرُوا، لاَ تَحْتَقِرُوا أَحَدَ هؤُلاَءِ الصِّغَارِ، لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَلاَئِكَتَهُمْ فِي السَّمَاوَاتِ كُلَّ حِينٍ يَنْظُرُونَ وَجْهَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ" (مت ١٨ : ١٠).

في القداس الغريغوري يصلي الأب الكاهن لله: "الذي ثبت قيام صفوف غير المتجسدين (الملائكة) في البشر". وفي أوشية القرابين: "إقبلها إليك على مذبحك المقدس الناطق السمائي. رائحة بخور تدخل إلى عظمتك التي في السموات. بواسطة خدمة ملائكتك ورؤساء ملائكتك القديسين".

يقول القديس مقاريوس الكبير:

> "الملائكة هم خدام للقديسين، فحينما كان اليشع في الجبل وأتى عليه الغرباء، قال له خادمه إن كثيرين قد أتوا علينا ونحن وحدنا، حينئذ أجابه اليشع ألا تبصر المعسكرات وجماهير الملائكة التي تحيط بنا وتحمينا (٢مل٦: ١٥-١٨) وهكذا فان الرب نفسه مع جموع الملائكة يحضرون

مع عبيده، فما أعظم النفس، وما أكرمها عند الله، لأن الله نفسه وملائكته يطلبونها لأجل الشركة معهم ولأجل الملكوت!"[١].

لو لم تكن للرسول بولس عين بسيطة ترى المرأة بقداسة بغير تشويش، عين روحانية مختومة بختم الروح القدس ترى الملائكة محيطة وساكنة وسط الكنيسة، لسار في خطى بعض معلمي اليهود الذين قالوا: "إن لم تضع المرأة غطاء على رأسها جلس الشيطان على شعرها"[٢].

فالمجد والشكر لله الذي أعطانا تعليماً حياً ببولس المعلم الحي بالمسيح.

١- القديس مقاريوس ١٥:٤٤ صـــ ١٦١

٢- فريدرك فارار. حياة المسيح صـــ ٢١٥

الباب الثالث

الفصل الأول
النصّ واحتمالات التفسير

نعرض أولاً المقطع الخاص بتغطية رأس المرأة من رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس، من الأصحاح الحادي عشر (٣-١٥):

" ٣ وَلَكِنْ أُرِيدُ أَنْ تَعْلَمُوا أَنَّ رَأْسَ[1] كُلِّ رَجُلٍ هُوَ
الْمَسِيحُ. وَأَمَّا رَأْسُ الْمَرْأَةِ فَهُوَ الرَّجُلُ. وَرَأْسُ الْمَسِيحِ هُوَ
اللهُ. ٤ كُلُّ رَجُلٍ يُصَلِّي أَوْ يَتَنَبَّأُ وَلَهُ عَلَى رَأْسِهِ شَيْءٌ يَشِينُ
رَأْسَهُ. ٥ وَأَمَّا كُلُّ امْرَأَةٍ تُصَلِّي أَوْ تَتَنَبَّأُ وَرَأْسُهَا غَيْرُ مُغَطًّى
فَتَشِينُ رَأْسَهَا لأَنَّهَا وَالْمَحْلُوقَةَ شَيْءٌ وَاحِدٌ بِعَيْنِهِ. ٦ إِذِ الْمَرْأَةُ
إِنْ كَانَتْ لاَ تَتَغَطَّى[2] فَلْيُقَصَّ شَعَرُهَا. وَإِنْ كَانَ قَبِيحاً
بِالْمَرْأَةِ أَنْ تُقَصَّ أَوْ تُحْلَقَ فَلْتَتَغَطَّ. ٧ فَإِنَّ الرَّجُلَ لاَ يَنْبَغِي أَنْ
يُغَطِّيَ رَأْسَهُ لِكَوْنِهِ صُورَةَ اللهِ وَمَجْدَهُ. وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَهِيَ مَجْدُ
الرَّجُلِ. ٨ لأَنَّ الرَّجُلَ لَيْسَ مِنَ الْمَرْأَةِ بَلِ الْمَرْأَةُ مِنَ الرَّجُلِ. ٩
وَلأَنَّ الرَّجُلَ لَمْ يُخْلَقْ مِنْ أَجْلِ الْمَرْأَةِ بَلِ الْمَرْأَةُ مِنْ أَجْلِ
الرَّجُلِ. ١٠ لِهَذَا يَنْبَغِي لِلْمَرْأَةِ أَنْ يَكُونَ لَهَا سُلْطَانٌ[3] عَلَى
رَأْسِهَا مِنْ أَجْلِ الْمَلاَئِكَةِ. ١١ غَيْرَ أَنَّ الرَّجُلَ لَيْسَ مِنْ دُونِ

١- " κεφαλή رأس، قمة، ذروة، نقطة رئيسية، أوج، غاية، هدف" (قاموس يوناني عربي.صـــ ٧٥).

٢- " κατακαλύπτω أغطي، أستر، أحجب، أخفي، أتغطى، أغطي الرأس" (قاموس يوناني عربي. صـــ ٧٢).

٣- " ἐξουσία سلطان، سلطة، قوة حاكمة، حق، امتياز، قدرة، مقدرة، سلطان قضائي، تفويض، كفالة" (قاموس يوناني عربي. صـــ ٥١).

الْمَرْأَةَ وَلاَ الْمَرْأَةُ مِنْ دُون الرَّجُل فِي الرَّبِّ. ١٢ لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ
الْمَرْأَةَ هِيَ مِنَ الرَّجُلِ هَكَذَا الرَّجُلُ أَيْضاً هُوَ بِالْمَرْأَة. وَلَكِنَّ
جَمِيعَ الأَشْيَاءِ هِيَ مِنَ اللهِ. ١٣ احْكُمُوا فِي أَنْفُسكُمْ: هَلْ
يَلِيقُ بِالْمَرْأَة أَنْ تُصَلِّيَ إِلَى اللهِ وَهِيَ غَيْرُ مُغَطَّاة؟ ١٤أَمْ لَيْسَت
الطَّبِيعَةُ نَفْسُهَا تُعَلِّمُكُمْ أَنَّ الرَّجُلَ إِنْ كَانَ يُرْخِي شَعْرَهُ فَهُوَ
عَيْبٌ لَهُ؟ ١٥ وَأَمَّا الْمَرْأَةُ إِنْ كَانَتْ تُرْخِي شَعْرَهَا فَهُوَ مَجْدٌ
لَهَا لأَنَّ الشَّعْرَ قَدْ أُعْطِيَ لَهَا عِوَض بُرْقُعٍ (١) ".

قبل المضي في تفهم هذا النصّ، يجب التأكيد على أنه بعدما أقر بولس للرجل والمرأة ترتيباً رأسياً معمولاً به لا سيما في "كَنَائِس اللهِ" (١كو١١:١٦) المنحدرة - على الأغلب - من كنائس أورشليم واليهودية، أو الأسبق تنظيماً وثباتاً، فإنه شهد للمساواة بين الرجل والمرأة من قبل الرب: "غَيْرَ أَنَّ الرَّجُلَ لَيْسَ مِنْ دُون الْمَرْأَة وَلاَ الْمَرْأَةُ مِنْ دُون الرَّجُل فِي الرَّبِّ. لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْمَرْأَةَ هِيَ مِنَ الرَّجُلِ هَكَذَا الرَّجُلُ أَيْضاً هُوَ بِالْمَرْأَةِ. وَلَكِنَّ جَمِيعَ الأَشْيَاءِ هِيَ مِنَ اللهِ" (١كو١١:١١-١٢). ثم أنه دائماً ما يربط كل تَراتُبية بالرأس المسيح الذي هو "فَوْقَ كُلِّ رِيَاسَة وَسُلْطَان وَقُوَّة وَسِيَادَة، وَكُلِّ اسْم يُسَمَّى لَيْسَ فِي هذَا الدَّهْر فَقَطْ بَلْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَيْضًا، وَأَخْضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْه، وَإِيَّاهُ جَعَلَ رَأْسًا فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَة، الَّتِي هِيَ جَسَدُهُ، مِلْءُ الَّذِي يَمْلأُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ" (أف١:٢١-٢٣).

١- "περιβόλαιον عباءة، رداء، غطاء، بُرقُع، قناع" (قاموس يوناني عربي صـ ١٠٥). أما في اللغة العربية فالبرقع هو "قناع النساء والدواب... برقعت وجهها: غطته بالبرقع. وبرقع المرأةَ أو الدابةَ: ألبسها البرقع" (المعجم الوسيط جـ ١ صـ ٥٢-٥٣).

هناك كلمة أخرى نستخدمها في هذه الدراسة للإشارة إلى غطاء الرأس، وهي "الْمِنْديل σουδάριον" التي تعني أيضاً "وشاح، غطاء لرأس المرأة" (فهرس يوناني عربي لكلمات العهد الجديد. صـ ١٢١). الواردة في (يو٢٠:٧) "وَالْمِنْدِيلَ الَّذِي كَانَ عَلَى رَأْسِهِ لَيْسَ مَوْضُوعًا مَعَ الأَكْفَانِ"، يو١١:٤٤، لو١٩:٢٠

إحتمال تفسيري أول:

تغطية الرأس بإرخاء الشعر كغطاء أثناء الصلاة:

١- خاص بما اعتادت عليه بعض النساء الرومانيات أو اليونانيات في ذلك الوقت[١].

نفهم في إطار هذا الإحتمال إذاً، أن مقصد الرسول بولس يتعلق بلياقة تصفيف النساء شعرها في الكنيسة ولا سيما وقت التنبوء في الصلاة، أن يكون مرخياً أو منسدلاً . حيث تظهر (١كو١١: ١٥) أن "الشَّعْرَ قَدْ أُعْطِيَ لَهَا عِوَضَ بُرْقُعٍ" أي بدل أو مقابل أو كبُرْقُع لها، فلا حاجة لبُرْقُع. الحاجة إلى تصفيف بسيط بدون تكلف يليق بالصلاة، يجعل اكتفاء المرأة بإرخاء شعرها - إن كانت طبيعته تسمح بذلك - دون أن تربطه أو تجدله في ضفائر أو تعقيدات، بمثابة غطاء كافٍ محتشم "عِوَضَ بُرْقُعٍ"، بما أنه مجدها الموهوب لها من الخالق. ولا سيما أن النساء العبرانيات كُنَّ يتميزن بالشعر الطويل (لو٧: ٣٨؛ يو١١: ٢؛ ١٢: ٣).

لأولئك قال أيضاً الرسول بولس موصياً تلميذه تيموثاوس بالحرص على ما يجب أن يسود الحياة واجتماعات الصلاة المسيحية: "كَذلِكَ أَنَّ النِّسَاءَ يُزَيِّنَّ ذَوَاتِهِنَّ بِلِبَاسِ الْحِشْمَةِ، مَعَ وَرَعٍ وَتَعَقُّلٍ، لاَ بِضَفَائِرَ أَوْ ذَهَبٍ أَوْ لآلِئَ أَوْ مَلاَبِسَ كَثِيرَةِ الثَّمَنِ، بَلْ كَمَا يَلِيقُ بِنِسَاءٍ مُتَعَاهِدَاتٍ بِتَقْوَى اللهِ بِأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ" (١تي٢: ٩-١٠). وهذا التعليم يلتقي مع تعليم الرسول بطرس: "وَلاَ تَكُنْ زِينَتُكُنَّ الزِّينَةَ الْخَارِجِيَّةَ، مِنْ ضَفْرِ الشَّعْرِ وَالتَّحَلِّي بِالذَّهَبِ وَلِبْسِ الثِّيَابِ، بَلْ إِنْسَانَ الْقَلْبِ الْخَفِيَّ فِي الْعَدِيمَةِ الْفَسَادِ، زِينَةَ الرُّوحِ الْوَدِيعِ الْهَادِئِ، الَّذِي هُوَ قُدَّامَ اللهِ كَثِيرُ الثَّمَنِ. فَإِنَّهُ هكَذَا كَانَتْ قَدِيمًا النِّسَاءُ الْقِدِّيسَاتُ أَيْضًا الْمُتَوَكِّلاَتُ عَلَى اللهِ، يُزَيِّنَّ أَنْفُسَهُنَّ خَاضِعَاتٍ

١- قابل الباب الثالث. الفصل الخامس. صور تصفيف الشعر

لِرِجَالِهِنَّ[1]" (١بط٣:٣-٥).

٢- خاص بعادات بعض النساء الكورنثيات اللواتي دخلن حديثاً في الإيمان المسيحي ولم يكن لديهن الفطنة ولا الجماعة الناشئة أيضاً، تجاه ترك النساء شعرهنّ مهدلاً أومشعَّثاً ومكشوفًا فيما كنّ يتنبّأن في الصلاة، مما قد يستحضر إيحاءات من طقوس العبادة الوثنية التي اعتادت عليها قبلاً النساء الكورنثيات الآتيات للمسيحية. يقول للجميع الرسول بولس: "يَنْبَغِي لِلْمَرْأَةِ أَنْ يَكُونَ لَهَا سُلْطَانٌ عَلَى رَأْسِهَا" (١كو١١:١٠). كلمة "ἐξουσία إكسوسيا"... علامة الإرتباط، علاقة الخضوع. حرفياً: أن يكون لها سلطان على رأسها أو قدرة. والترجمة المعقولة: "يجب أن تلبس المرأة على رأسها (علامة) سلطتها من أجل الملائكة". علامة سلطتها هي شعرها الطويل، لا المنديل الذي تضعه على رأسها. فلا وجود لكلمة منديل في النص. والحديث يدور حول رأس يغطيه الشعر القصير. والإستنتاج العملي: حين تصلي المرأة في الإحتفالات الليتورجية، أو حين تتنبأ، يجب أن يغطي شعرها رأسها. يكون شعرها طويلاً فيكون غطاء لرأسها"[2].

الشعر هنا رمز على عهد الخضوع لرجلها الذي يخدمها في الرب، وليس كما كانت توحي بعض طُرق حَل بعض النساء شعرها في هذه البيئة الكورنثية بالاستهتار أو عدم الخضوع لعهد الزواج، وهو ما حرص الرسول بولس أن ينزه نساء كورنثوس حديثات الإيمان حتى عما يوحي به. فقد "أظهرت دراسة عبادات وطقوس ايزيس وقيباليس القديمة أنه في حين كان الرجال يحلقون رؤوسهم، كان شعر النساء المهدل يدلّ من جهة على عدم خضوعهنّ للرجال، ومن جهة ثانية على المقدرة النبويّة. فكن

١- "وَلكِنْ كَمَا تَخْضَعُ الْكَنِيسَةُ لِلْمَسِيحِ، كَذلِكَ النِّسَاءُ لِرِجَالِهِنَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ. أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ كَمَا أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضًا الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا" (أف٥:٢٤-٢٥).

٢- الخوري بولس الفغالي. رسالة القديس بولس إلى أهل كورنثوس صـــ ١٣٠

يهدلن شعرهنّ ليستطعن التلفّظ بالكلمات السحريّة. فلكي تتحرّر زوجة فرجيليوس من سلطة زوجها الملك، أرسلت في طلب نساء أخريات، وشاركتهنّ اهدال الشعر وكشفه؛ في حين كانت صديقة الشاعر تيبول تسدل شعرها مرّتين يوميًا لتقول صلاة لايزيس... التي جعلت قدرة النساء موازية لقدرة الرجال... فلربّما اعتمدت بعض الكورنثيات المسيحيات هذه العادات من منظارهنّ للمساواة بين الرجال والنساء بما يخصّ العبادات... كانت الجماعات المسيحيّة تقبل النساء والعبيد كأعضاء متساووين ومشاركين بشكل تام وكامل، فأصبح الشعر المهدل والمكشوف علامة لرفضهنّ التمييز بين الرجل والمرأة في كل ما يخص العبادات والطقوس من جهة، وعلامة لتصرّفهنّ النبوي من جهة ثانية، وهو ما استدعى تدخّل بولس وشرحه لهذه المفاهيم ولدورها في الجماعة" [١].

لا نعتقد أن بولس كان جاهلاً بكل هذه العوائد السحيقة في أغوار النفوس الكورنثية، أو متخاذلاً أن يقتلع أو يميت جذورها. موقف الرسول هنا من بعض الكورنثيات الحديثات الإيمان، أشبه بموقف يعقوب قديماً إزاء النساء اللائي كن معه، عندما أخذ في عزل الآلهة الغريبة قبل الدخول إلى بيت الله. يوضح القديس كيرلس الكبير ذلك بالشرح:

"هكذا دخلت النساء اللاتي كن مع يعقوب إلى بيت الله بدون أن يكون لهن أي زينة جسدية، حللن أيضاً شعورهن، مُحررين هكذا رؤوسهن من أي تعقيدات مجدولة في شعورهن تشير إلى ارتكاب جرائم[٢]. إذاً عندما نصعد إلى بيت إيل، أي إلى بيت الله نطرح عنا - مثلما فعل النساء - أي زينة لكي نتعرف على الحجر المختار الموضوع في

١- بولس ورسائله. عن مقالة الأخت باسمة الخوري.

٢- كانت عادة النساء من الوثنيين أن يجدلن شعورهن كالحبال ويفعلون الفحشاء أمام الآلهة الوثنية، وهنا يوصي يعقوب نساءه بأن يحللّن شعورهن حتى لا يتشبهن بالنساء الوثنيات.

رأس الزاوية، أقصد المسيح"[١].

الآن وقد قطعت البشرية مسافة بعيدة عن تلك الطقوس الوثنية وثقافتها المتوطنة في كورنثوس القرن الأول. كيف نستخلص ما يريد النصّ أن يقوله لنا اليوم؟ هذا ما تحاول هذه الدراسة اكتشافه وتفهمه "لِكَيْ يَكُونَ إِنْسَانُ اللهِ كَامِلاً، مُتَأَهِّبًا لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ" (٢تي٣:١٧).

إحتمال تفسيري ثان:

تغطية الرأس بغطاء من القماش أثناء الصلاة:

"يذكر بلوتارك أن النساء الشريفات اليونانيات والرومانيات كن يغطين وجوههن بالبراقع في المجتمعات العامة"[٢]. إذاً وضع المرأة غطاءاً على رأسها لم يكن شأناً شاذاً في كورنثوس، وإن كان يبدو نادراً أو ضعيف التأثير في عادات بعض الكورنثيات الحديثات الإيمان، حتى أن الرسول بولس طلب منهن أن يغطين رؤوسهن في الكنيسة.

"وقد تميزت نسوة كورنثوس بالجرأة والإخلاص، وكن يحملن على عاتقهن مسئوليات جسام في الخدمة وكان لبعضهن موهبة النبوة. فتركهن بولس دون أن يخرسهن تمشياً مع قوله: "لا تطفئوا الروح"، "لا تضعفوا النبوات". إلا أن بولس رفض رفضاً باتاً نزع الغطاء عن الرأس على اعتبار أنه يرمز إلى الطاعة"[٣].

١- القديس كيرلس عمود الدين. جلافيرا على سفر التكوين. عن: الكتاب الشهري سبتمبر ٢٠٠٧ صـ ٢٥-٢٦ في شرح (تك٣٥:٢-٥): "ثُمَّ قَالَ اللهُ لِيَعْقُوبَ: "قُمِ اصْعَدْ إِلَى بَيْتَ إِيلَ وَأَقِمْ هُنَاكَ وَاصْنَعْ هُنَاكَ مَذْبَحاً للهِ الَّذِي ظَهَرَ لَكَ حِينَ هَرَبْتَ مِنْ وَجْهِ عِيسُو أَخِيكَ". فَقَالَ يَعْقُوبُ لِبَيْتِهِ وَلِكُلِّ مَنْ كَانَ مَعَهُ: "اعْزِلُوا الآلِهَةَ الْغَرِيبَةَ الَّتِي بَيْنَكُمْ وَتَطَهَّرُوا وَأَبْدِلُوا ثِيَابَكُمْ. وَلْنَقُمْ وَنَصْعَدْ إِلَى بَيْتَ إِيلَ فَأَصْنَعَ هُنَاكَ مَذْبَحاً للهِ الَّذِي اسْتَجَابَ لِي فِي يَوْمِ ضِيقَتِي وَكَانَ مَعِي فِي الطَّرِيقِ الَّذِي ذَهَبْتُ فِيهِ". فَأَعْطَوْا يَعْقُوبَ كُلَّ الآلِهَةِ الْغَرِيبَةِ الَّتِي فِي أَيْدِيهِمْ وَالأَقْرَاطَ الَّتِي فِي آذَانِهِمْ فَطَمَرَهَا يَعْقُوبُ تَحْتَ الْبُطْمَةِ الَّتِي عِنْدَ شَكِيمَ. ثُمَّ رَحَلُوا... ".

٢- عن: دائرة المعارف الكتابية. الجزء الثاني صـ ١٣٩

٣- جوزيف هولزنز. بولس الرسول صـ ٢٣٦

إن كان كلام الرسول بولس يحتمل تغطية الرأس بغطاء من القماش (بُرقُع أو مِنْدِيل أو وِشاح)، فإنه لا يتطرق إلى إنسدال الغطاء بما لا يتجاوز أعلى جبهة الرأس حيث منبت الشعر، وما خلفها إلى الوراء حيث يُسترسل أو يُرخى الشعر على الأكتاف إن وصل إليها، حسب تصور الرسول وتلقائية وصفه، فلا يتجاوز الغطاء المسافة الخلفية للرأس والتي يشغلها الشعر المنسدل أو المرخي على الكتفين: "أَمْ لَيْسَت الطَّبِيعَةُ نَفْسُهَا تُعَلِّمُكُمْ أَنَّ الرَّجُلَ إِنْ كَانَ يُرْخِي شَعْرَهُ فَهُوَ عَيْبٌ لَهُ؟ وَأَمَّا الْمَرْأَةُ إِنْ كَانَتْ تُرْخِي شَعْرَهَا فَهُوَ مَجْدٌ لَهَا لأَنَّ الشَّعْرَ قَدْ أُعْطِيَ لَهَا عِوَضَ بُرْقُعٍ" (١كو١١: ١٤-١٥).

إحتمال تفسيري ثالث:

إحتواء النص على توصية بتغطية الرأس بإرخاء الشعر، مع تغطية الرأس بغطاء من القماش معاً أثناء الصلاة:

أي الجمع بين احتمالات التفسيرين الأول والثاني. إرخاء الشعر وتغطيته بالبرقع.

هذه الاحتمالات توجهنا إلى دراسة واستكشاف معنى كل من: الرأس، والوجه، والشَعر، والغطاء في التراث الإنساني والكتابي والليتورجي. وهي تحمل معاني ودلالات شهد الكثير منها الرسول بولس في محيطه وعالمه. وكان يستوعبها جيداً ويستخدمها بسلاسة وتلقائية بأوجه متعددة حسب سياق الكلام والموقف.

الفصل الثاني

الرأس
في التراث الإنساني والكتابي والليتورجي

"تعتبر الرأس المركز الرئيس للقوة والحياة وهي تشير إلى العقل[١] والسيطرة والحكمة والروح وقواها... تظهر في الاحتفالات وطقوس التكريم وغير التكريم. تاج الملك والعظمة كلها توضع على الرأس... وانحناء الرأس هو خفض قوة الحياة أمام شخص آخر، إما في تكريم أو موافقة أو رضوخ... وكل أغطية الرأس كما في لبس القبعات والبراقع والأكاليل، يخفي ويحمي الحياة الداخلية للرأس. وغطاء الرأس يمكن أن يصور المعرفة السرية المختبئة، وما هو غير مفحوص"[٢].

ولما كان للرأس كل هذه الدلالات والمعاني، فقد استخدمت الكلمة في الكتاب المقدس بطريقة رمزية. فمثلاً "الرأس" لا تدل فقط على هذا العضو الذي يعتلي قمة الجسد، بل على الفرد أو الشخص كله: "بِعَدَدِ الأَسْمَاءِ، كُلُّ ذَكَرٍ بِرَأْسِهِ" (عد١: ٢ وانظر: عد١: ٢، ١٨، ٢٠، ٢٢؛ قض٥: ٣٠). وتدلّ "الرأس" أيضاً على الرئيس، أو الأول: "رَأْسٌ لِبَيْتِ آبَائِهِ" (عد١: ٤؛ ٢٥: ٤؛ ١كو٤: ٤). ولما كان إليشع تلميذاً ملازماً لإيليا النبي، فحينما أراد بنو الأنبياء أن يبلغوا إليشع بقرب إصعاد إيليا، جاء بلاغهم له بهذه الصيغة: "أَتَعْلَمُ أَنَّهُ الْيَوْمَ يَأْخُذُ الرَّبُّ سَيِّدَكَ مِنْ عَلَى رَأْسِكَ؟" (٢مل٢: ٣، ٥).

١- "الرأس يشير إلى العقل" القديس كيرلس الأسكندري. السجود والعبادة بالروح والحق جـ ٦ صـ ١١٦

٢- ج. كوبر. الرمزية في الفن المسيحي صـ ١٠٥-١٠٦

ولأن المسيح هو آدم الجديد الذي خرجت الكنيسة من جنبه مثل حواء التي خرجت من جنب آدم الأول، فقد دعاه بولس: "رَأْسُ الْكَنِيسَةِ" (أف٥: ٢٣). وهي رئاسة التحنن والصلاح التي يقول عنها الأب الأسقف، في صلاة قسمة كبير الشمامسة: "أيها السيد الرب الله العظيم الرحمة. العالي في التحنن والصلاح. الذي من قبل إبنك الوحيد يسوع المسيح ربنا أقمت أورشليم السمائية، وصرت رأساً على كل الأشياء وعلى الأرض أيضاً"[١].

ولأن للرأس دلالة الحياة والقوة، كانت تكلل بالتيجان والأكاليل في المناسبات المفرحة. أما حينما تنحسر عنها النعمة والقوة، فقد كان الرجال يغطونها ويهيلون عليها التراب تعبيراً عن الحزن والانكسار. وقد رصد سفر صموئيل الثاني أيضاً مشهداً مؤثراً لداود حينما "أَتَى مُخَبِّرٌ إِلَى دَاوُدَ قَائِلاً: ''إِنَّ قُلُوبَ رِجَالِ إِسْرَائِيلَ صَارَتْ وَرَاءَ أَبْشَالُومَ'' "(١٥: ١٣). "وَكَانَتِ الْفِتْنَةُ شَدِيدَةً" (١٥: ١٢) كما يلي:

"وَأَمَّا دَاوُدُ فَصَعِدَ فِي مَصْعَدِ جَبَلِ الزَّيْتُونِ. كَانَ يَصْعَدُ بَاكِياً وَرَأْسُهُ مُغَطًّى وَيَمْشِي حَافِياً، وَجَمِيعُ الشَّعْبِ الَّذِينَ مَعَهُ غَطُّوا كُلُّ وَاحِدٍ رَأْسَهُ، وَكَانُوا يَصْعَدُونَ وَهُمْ يَبْكُونَ. وَأُخْبِرَ دَاوُدُ إِنَّ أَخِيتُوفَلَ بَيْنَ الْفَاتِنِينَ مَعَ أَبْشَالُومَ، فَقَالَ دَاوُدُ: ''حَمِّقْ يَا رَبُّ مَشُورَةَ أَخِيتُوفَلَ''. وَلَمَّا وَصَلَ دَاوُدُ إِلَى الْقِمَّةِ حَيْثُ سَجَدَ لِلَّهِ، إِذَا بِحُوشَايَ الأَرْكِيِّ قَدْ لَقِيَهُ مُمَزَّقَ الثَّوْبِ وَالتُّرَابُ عَلَى رَأْسِهِ" (١٥: ٣٠-٣٢).

وكان إهالة التراب على الرأس، وتمزيق الثوب، من مظاهر الحزن الشديد في مناحات المصريين القدماء أيضاً، وآثارها لا تزال باقية في العادات الاجتماعية، ولا سيما في القرى والريف وبالأكثر في صعيد مصر.

١- ترتيب قسمة الكهنوت صـ ٧٤

إحناء الرأس في الليتورجيا القبطية

إن فهم واستيعاب طقس إحناء الرأس، في أكثر من خدمة ليتورجية، هو أمر هام وشديد التأثير في عبادتنا وروحانيتنا. إذ يرافق أو يعقب صلوات ليتورجية معينة، إحناء الجميع رؤوسهم وهم وقوف. كما يجرى عندما يصلي الأب الكاهن صلوات تحليل عشية وباكر، وما قبل الإعتراف في القداس للتهيئة لتناول الإفخارستيا، وقبل التغطيس في المعمودية، حيث يسبق الإنحناء في هذه جميعاً، نداء الشماس للشعب: "إحنوا رؤوسكم للرب"، فيجيبه الشعب: "أمامك يا رب"[1]. ثم ينحني الجميع أمام الرب.

ثم يصلي الأب الكاهن بعض الصلوات بعدما يحني الجميع رؤوسهم، ومنها:

"والذين أحنوا رؤوسهم تحت يدك إرفعهم في السيرة، زينهم بالفضائل ولنستحق كلنا ملكوتك الذي في السموات بمسرة أبيك الصالح...".

"الآن نسال ونطلب من صلاحك يا محب البشر عن عبيدك أولئك وضعفي هؤلاء المنحنيين برؤوسهم أمام مجدك المقدس. أرزقنا رحمتك واقطع كل رباطات خطايانا...".

وقد انطبع طقس إحناء الرأس خارج باب الهيكل في صلوات التحليل بمثل الْفَرِّيسي والْعَشَّار[2] الذي "وَقَفَ مِنْ بَعِيدٍ، لاَ يَشَاءُ أَنْ يَرْفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ

١- وقد شاع إضافة جملة: "خاضعين وساجدين" على مرد الشعب "أمامك يارب"، وهي إضافة لا محل لها من الطقس أو نصّ القداس مطلقاً. إذ تخلط بين الإحناء والسجود، مع أن التمييز بين "السجود" و"الإحناء" له أهميته الخاصة اللاهوتية والتعبدية والروحية.

٢- «إِنْسَانَان صَعِدَا إِلَى الْهَيْكَلِ لِيُصَلِّيَا، وَاحِدٌ فَرِّيسِيٌّ وَالآخَرُ عَشَّارٌ. أَمَّا الْفَرِّيسِيُّ فَوَقَفَ يُصَلِّي فِي نَفْسِهِ هكَذَا: اَللّهُمَّ أَنَا أَشْكُرُكَ أَنِّي لَسْتُ مِثْلَ بَاقِي النَّاسِ الْخَاطِفِينَ الظَّالِمِينَ الزُّنَاة، وَلاَ مِثْلَ هذَا الْعَشَّارِ. أَصُومُ مَرَّتَيْنِ فِي الأُسْبُوعِ، وَأُعَشِّرُ كُلَّ مَا أَقْتَنِيهِ. وَأَمَّا الْعَشَّارُ فَوَقَفَ مِنْ بَعِيد، لاَ يَشَاءُ أَنْ يَرْفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ، بَلْ قَرَعَ عَلَى صَدْرِهِ قَائِلاً: اللّهُمَّ ارْحَمْنِي، أَنَا الْخَاطِئَ. أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ هذَا نَزَلَ إِلَى بَيْتِهِ مُبَرَّرًا دُونَ ذَاكَ» (لو١٨: ١٠-١٤).

السَّمَاءِ" (لو١٨: ١٣)، بروحه وبشكله، شوقاً إلى البر الحقيقي، قبيل التقدم والدخول إلى الهيكل المقدس.

عند إنحنائنا برؤوسنا أمام مجد الله المقدس، نفحص أنفسنا بسؤال ميخا النبي: "بِمَ أَتَقَدَّمُ إِلَى الرَّبِّ وَأَنْحَنِي لِلإِله الْعَلِيِّ؟" (مي٦: ٦)، لئلا نحني رؤوسنا إنحناءاً شكلياً خالياً من الإنحناء الداخلي الذي يتساءل الرب عنه: "أَمِثْلُ هذَا يَكُونُ صَوْمٌ أَخْتَارُهُ؟ يَوْمًا يُذَلِّلُ الإِنْسَانُ فِيه نَفْسَهُ، يُحْنِي كَالأَسَلَةِ[1] رَأْسَهُ، وَيَفْرُشُ تَحْتَهُ مِسْحًا وَرَمَادًا. هَلْ تُسَمِّي هذَا صَوْمًا وَيَوْمًا مَقْبُولاً لِلرَّبِّ؟" (أش٥٨: ٥). إن نداء الشماس "إحنوا رؤوسكم للرب"، يجب أن يُمارس قلبياً أولاً بحسب قول الرب في نهاية مثل الفريسي والعشار: "لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ يَتَّضِعُ، وَمَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ يَرْتَفِعُ" (لو١٨: ١٤).

١- نبات يصنع منه السلال والحُصر.

الفصل الثالث

الوجه
في التراث الإنساني والكتابي والليتورجي

"الوجه، في العبرية: ف ن ي م. وفي اللغة اليونانية: بروسوبون. جزء من الجسد يرى الناس ويراه الناس، لأن سائر الجسم كان يُغطى بالثياب"[1]. "فعلى الوجه تبدو الملامح، والسن، وما تحتوي عليه بعض النظرات أحياناً من معان. في الوجه أيضاً، الأنف الذي هو رمز الكرامة و "الأنفة". إن "إخضاع أنف أحد الناس" هو إذلاله... ويحتوي الوجه أيضاً على أداة التفاهم والشهادة، تلك الأداة التي تعد من أهم ما في الكائن الإنساني: فباللسان يتواصل المرء بغيره، وبه يتكلم ويؤدي الشهادة"[2].

"وجه الإنسان متفرد بين وجوه الحيوانات بالتوجه نحو الغير، بالابتسامة والترحاب والانعطاف المنفتح للتلقي بصدر رحب وأحشاء لهفة وشوق وعطف. السلبيون وحدهم يشيحون بوجوههم عن الآخرين. الإنسان السوي يشعر بذنب كبير إن ارتكب نقصاً في بشاشة استقبال الغير والترحاب به، أو إن أدار له ظهره، أو إن لم يلتفت إليه. وظيفة وجه الإنسان الإنسانية أن يشرق بشراً في حضرة الآخرين"[3]. ولأن "اَلْقَلْبُ الْفَرْحَانُ يَجْعَلُ الْوَجْهَ طَلْقًا" (أم١٥:١٣)، فإن نحميا يصف حاله أثناء السبي هكذا: "فَقَالَ لِي الْمَلِكُ: "لِمَاذَا وَجْهُكَ مُكْمَدٌّ وَأَنْتَ غَيْرُ

١- المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم صـ ١٣٥٧

٢- الدكتور محمد عزيز الحبابي. الشخصانية الإسلامية صـ ١٨-١٩

٣- اسبيرو جبور. قردٌ أم إنسان؟ صـ ٧٦

مَرِيض؟ مَا هذَا إِلاَّ كَآبَةَ قَلْب!". فَخِفْتُ كَثِيرًا جِدًّا، وَقُلْتُ لِلْمَلِكِ: "لِيَحْيَ الْمَلِكُ إِلَى الأَبَدِ. كَيْفَ لاَ يَكْمَدُّ وَجْهِي وَالْمَدِينَةُ بَيْتُ مَقَابِرِ آبَائِي خَرَابٌ، وَأَبْوَابُهَا قَدْ أَكَلَتْهَا النَّارُ؟" " (نح٢:٢-٣).

و"من بين كل أجزاء الجسد، الوجه هو الجزء الذي تتركز فيه أعلى القيم. ففيه ينعكس الإحساس بالشخصية، وفيه تسجل الجاذبية وكل درجات الجمال أو القبح. إن القيمة التي تعلق عليه عالية لدرجة أن أي تشويه له يصبح تجربة مؤلمة ينتج عنها تقريباً فقدان الهوية. وكلما زادت الأهمية التي يلحقها المجتمع بالشخصية الفردية كلما عظمت قيمة الوجه"[١]. الوجه إذاً هو مركز التواصل الإنساني. شرط أن يشف عما يحفظه داخل القلب: "كَمَا فِي الْمَاءِ الْوَجْهُ لِلْوَجْهِ، كَذلِكَ قَلْبُ الإِنْسَانِ لِلإِنْسَانِ" (أم٢٧:١٩).

"وهناك مجموعة متنوعة من التعبيرات المجازية - مثل يفقد ماء وجهه بمعنى الشعور بالمهانة، وتتغير ملامح وجهه بمعنى أن يخجل ويرتبك، وهلم جراً[٢]. التي تبين أهمية الوجه بالنسبة لشعور الفرد بهويته في داخل سياق إجتماعي"[٣].

و"لأن حياتنا تعتمد بدرجة كبيرة على حياة الآخرين فإننا كبشر نميل إلى كوننا مشاهدين للناس (يطلق العلماء السلوكيون على عملية مشاهدة الناس عملية إدراك الشخص)... فإن تعبيرات الوجه والإشارات تعتبر أيضاً أشياء هامة كمصادر معلومات عن البشر"[٤]. "إن الإيماءات

١- دافيد لوبرتون. رسالة اليونسكو. أبريل ١٩٩٧ صـ ١٢

٢- "في بعض المجتمعات البدائية، إذا امتنع أحد رؤساء العشيرة عن القيام بإحدي إلتزاماته، قيل أن "وجهه متعفن"... وفي المغرب "باع ماء وجهه" بمعنى أنه دنس شرفه" (عن: الدكتور محمد عزيز الحبابي. الشخصانية الإسلامية صـ ١٨).

٣ - دافيد لوبرتون. رسالة اليونسكو. أبريل ١٩٩٧ صـ ١١

٤ - لندا ل. دافيدوف. مدخل علم النفس صـ ٧٤٧، ٧٥٠

وتعابير الوجه والعينين والعواطف ونغمة الصوت، إنما تصنع مجموعة من العلامات الجسدية التي يمكن تعريفها بأنها علامات تحت - جسدانية infra corporeal signs - وهي علامات تكمل فعل الكلمة وتطبع عليها عدداً لا نهائياً من ظلال الفروق الطفيفة التي يُنتظر من المحاورين (جمهور المشاهدين أو المستمعين) أن يفكوا شفرتها ويحلوا مغاليق أسرارها"(١).

"والقدرة على تثبيت النظر في وجه الآخرين، تعتبر من المسائل الخطيرة في مجتمعات عديدة... وفي حياتنا اليومية نتعرف على بعضنا البعض من وجوهنا. وعندما نتجول بدون تغطية أيدينا أو وجوهنا، فإننا نعرض هذه الملامح، التي يمكن أن نتعرف على بعضنا البعض بواسطتها على الفور. وبينما يكون الجسد هو خط الحدود بين الذات والعالم الخارجي أو الآخرين فإن الوجه هو الذي يظهر الشخصية، التي تعطي معنى إجتماعياً وثقافياً للفرد. والوجه هو الذي يعطي تعبيراً حياً غامضاً للطبيعة المطلقة لما هو في الواقع إختلافات طفيفة فقط بين الأفراد. والوجوه تعطي عدداً لا نهائياً من التنويعات لنفس الموضوع البسيط، وبذلك تخلق مليارات الأشكال والتعبيرات من أكثر الرموز أساسية وهي العيون والأنف والجبهة. وملامح الوجه وتعبيراته تربط الأفراد بالمجتمع وفي نفس الوقت تعطيهم المجال الكامل لتأكيد إختلافهم وتفردهم"(٢).

"وفي الفن الديني، كانت الطبيعة الفريدة، والتي لا يمكن التعبير عنها للوجه، تنعكس بالفعل في فكرة إعتباره المكان الذي تختاره الروح لتجعله مسكناً، والذي تأخذ فيه الروح شكلها الجسدي"(٣). "ويخبرنا علماء الاجتماع أن المجتمع لكي يصبح مجتمعاً حقيقياً لابد أن تتوفر فيه

١- دراسة للباحثة صافيناز نجيب. الشهيد كشاهد. عن: International Review for the History of Religions ، Vol. XLI No. 3 – Sept. 1994 – P، 223-224

٢- دافيد لوبرتون. رسالة اليونسكو. أبريل ١٩٩٧ صـ ١١-١٢

٣- دافيد لوبرتون. المرجع السابق صـ ١٣

علاقة الوجه مقابل الوجه[1]، أو العلاقة المباشرة – face – to – face relationship ويعني هذا بالنسبة للمسيحي أن أعضاء المجتمع (الكنيسة)، هم أشخاص مرتبطون سوياً بالإيمان والمحبة"[2]. وهذا يعني أيضاً أنه عندما يشترك الشخص في ليتورجيا الكنيسة فلا بد أن تتلاقى الوجوه البشرية معاً، بل تتواجه أيضاً مع وجوه القديسين والقديسات ووجه الرب يسوع المسيح في الأيقونات. يحيا المسيحي في عالم مليء بالوجوه المضيئة بالروح السماوي، وعليه فإن عزل الأوجه هو عزل للأشخاص عن بعضهم، يبدو نشازاً منفراً في نغمة المحبة والشركة داخل الكنيسة. لا تتطلع الكنيسة في عبادتها إلى فصل وتقطيع روابط الاتصال الإنسانية البريئة، بنفي الوجه أهم وأول عناصر معادلة التواصل الإنساني السوي، فالعفاف المسيحي يزينه تألق الوجه بمسحة الروح القدس الوديع الهادئ الساكن في الإنسان الداخل.

والعجيب أن لوجه الإنسان عامة والأم خاصة تأثيراً مؤسِساً في شخصية الطفل منذ ولادته يدوم فيه مدى الحياة:

> "إن للوجه دوراً أساسياً في المرحلة الأولى لنمو الطفل يتقدم على دور اللغة في التواصل بين الطفل وأهله. تكون الذاكرة لدى الأطفال الصغار بصرية، وحسية، وأيقونية على نحو كبير. فهذه هي لغة "التبادل البدني الجلية" بين الطفل والمعتني به، التي تكوّن أول فهم أساسي للعالم يتسم بالثقة الأساسية أو عدمها. تتكون الثقة الأساسية إذا ما نجح التفاوض البدني في الأخذ والعطاء بين الطفل والمعتني. يحقق الطفل وحدة بين العالمين الداخلي والخارجي بوصفهما

١- كما يقول القديس أفرام السرياني: "الكنيسة عالم ملئ بالوجوه النضرة" عن: أوليفيه كلمنت. المسيحى الأرثوذكسى وعالم اليوم.

2- The Study of The Liturgy P, 19.

كلاً أساسياً وخيراً متبادلاً بين الذات والآخر، والجماعة (العالم). وإذا لم ينجح تفاوض التبادل، يعاني الطفل من ارتياب أساسي، يترافق مع حنق، وأوهام سيطرة، أو تدمير مصادر المتعة والوفرة، التي قد يُعاد إحياؤها في المراهقة.

ويعتمد التبادل البدني عند الطفل على إشارات وجه المعتني به كي يقوم بالاستجابات العاطفية، التي تتناسب مع السلوك والتوقعات. هناك دليل على وجود سلوكيات وجهية خاصة بكل عاطفة من خمس فئات عاطفية على الأقل (السعادة، والغضب، والمفاجأة، والحزن، والقرف). كما يوجد دليل على أن هذه العلاقات ثابتة في كل الثقافات. حيث تُعزى الاختلافات الثقافية في سلوكيات الوجه والانفعال إلى الظروف، التي تثير العاطفة، وإلى نتائج فعل العاطفة، وإلى قواعد الإظهار، التي تتحكم بسلوك الوجه وتديره ضمن أطر معينة، بالإضافة إلى المواقف تجاه الانفعال"[1].

من دلالات تغطية أو كشف وجه المرأة أو الرجل في عالم العهد القديم

أولاً: في البكاء والمناحة:

لما بلغ داود خبر مقتل ابنه أبشالوم، يصف الكتاب المقدس وقع هذا الخبر كما يلي: "وَسَتَرَ الْمَلِكُ وَجْهَهُ وَصَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: يَا ابْنِي أَبْشَالُومُ، يَا أَبْشَالُومُ ابْنِي يَا ابْنِي!" (٢صم١٩: ٤).

أما في أمر الرب لحزقيال عندما ماتت زوجته بأن يلف عصابته على

١- باربرا ويتمر. الأنماط الثقافية للعنف صـ ٥٧-٥٨

رأسه ولا يغطى وجهه باكياً ومتنهداً، مخالفاً الموروث المتبع في زمانه، وكأن حزناً لم يصبه لموت معينته قائلاً: "تَنَهَّدْ سَاكِتاً. لاَ تَعْمَلْ مَنَاحَةً عَلَى أَمْوَاتٍ. لُفَّ عِصَابَتَكَ عَلَيْكَ وَاجْعَلْ نَعْلَيْكَ فِي رِجْلَيْكَ وَلاَ تُغَطِّ شَارِبَيْكَ وَلاَ تَأْكُلْ مِنْ خُبْزِ النَّاسِ" (حز٢٤:١٦-١٧). كان هذا الفعل الرمزي بمثابة رسالة من الله إلى الشعب ورؤسائه بواسطة حزقيال، بأن ما سيحل عليهم من خراب سيكون مضاعفاً، لأنه سيكون حزناً غير مخفف بعزاء أو مواساة أو مشاركة.

ثانياً: في الخزي أو الهزيمة أو الشعور بالذنب:

كان وجه آدم ووجه حواء مكشوفاً أمام الله في الفردوس، فلما سقطا غطى العار وجههما و لم يعد مكشوفاً بعد في حضرة الرب، وتمثل ذلك فى اختباء "آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الإِلَهِ فِي وَسَطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ" (تك٣:٨). وقد عبر قايين أيضاً عن شعوره بالذنب بالاختفاء من وجه الرب بعد قتله أخيه، موجهاً كلامه للرب الإله: "إِنَّكَ قَدْ طَرَدْتَنِي الْيَوْمَ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ وَمِنْ وَجْهِكَ أَخْتَفِي" (تك٤:١٤)، مع أن "اَلشِّرِّيرُ يَهْرُبُ وَلاَ طَارِدَ" (أم٢٨:١). ولكن "إِذَا اخْتَبَأَ إِنْسَانٌ فِي أَمَاكِنَ مُسْتَتِرَةٍ أَفَمَا أَرَاهُ أَنَا يَقُولُ الرَّبُّ؟ أَمَا أَمْلأُ أَنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ يَقُولُ الرَّبُّ؟" (أر٢٣:٢٤).

وبعدما قدم قايين قربانه غير المقبول سأله الله: "فَقَالَ الرَّبُّ لِقَايِينَ: «لِمَاذَا اغْتَظْتَ وَلِمَاذَا سَقَطَ وَجْهُكَ؟ إِنْ أَحْسَنْتَ أَفَلاَ رَفْعٌ" (تك٤:٦-٧)[1]، أي رَفْعُ وجهه بدلاً من سقوط وجهه. ومثلما سقط وجه قايين سقط أيضاً يهوذا الإسخريوطى على وجهه بعد ارتداده عن المسيح "وَإِذْ

١- قابل: "وَإِنْ قَرَّبْتُمُ الأَعْمَى ذَبِيحَةً أَفَلَيْسَ ذَلِكَ شَرّاً؟ وَإِنْ قَرَّبْتُمُ الأَعْرَجَ وَالسَّقِيمَ أَفَلَيْسَ ذَلِكَ شَرّاً؟ قَرِّبْهُ لِوَالِيكَ أَفَيَرْضَى عَلَيْكَ أَوْ يَرْفَعُ وَجْهَكَ؟ قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ. وَالآنَ تَرَضُّوا وَجْهَ اللهِ فَيَتَرَأَّفَ عَلَيْنَا. هَذِهِ كَانَتْ مِنْ يَدِكُمْ. هَلْ يَرْفَعُ وَجْهَكُمْ؟ قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ" (ملا١:٨-٩).

سَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ انْشَقَّ مِنَ الْوَسَطِ" (أع١: ١٨)، لأن "رَفْعُ وَجْهِ الشِّرِّيرِ لَيْسَ حَسَناً" (أم١٨: ٥).

وعندما سيعلن الرب لأصحاب أيوب أنه سيرفع عنه شدته بعدما بدا أمامهم مخزي الوجه، وكأن الرب ستر وجهه عنه في شدته، أخبرهم الرب عن ذلك بقوله "لأَنِّي أَرْفَعُ وَجْهَهُ" (أى ٤٢: ٨)، وبالفعل "رَفَعَ الرَّبُّ وَجْهَ أَيُّوبَ" (أى ٤٢: ٩)، وفي استجابة الله لالتماس لوط النجاة إلى مدينة "صوغر" أعلن الرب هذه الاستجابة بقوله: "إِنِّي قَدْ رَفَعْتُ وَجْهَكَ فِي هَذَا الأَمْرِ أَيْضاً" (تك١٩: ٢١).

وعن الإساءة للكهنة يصور الرب تلك الأعمال على فم إرميا النبي: "لَمْ يَرْفَعُوا وُجُوهَ الْكَهَنَةِ" (مراثي٤: ١٦).

وعندما يصف لنا الكتاب المقدس الحظوة التي كان يتمتع بها نعمان السرياني لدى الملك يقول: "وَكَانَ نُعْمَانُ رَئِيسُ جَيْشِ مَلِكِ أَرَامَ رَجُلاً عَظِيماً عِنْدَ سَيِّدِهِ مَرْفُوعَ الْوَجْهِ، لأَنَّهُ عَنْ يَدِهِ أَعْطَى الرَّبُّ خَلاَصاً لأَرَامَ..." (٢مل٥: ١).

وفي سفر صموئيل الثاني نقرأ عن أبشالوم بن داود الذي حالت أفعاله الرديئة دون لقاء أبيه الملك، وكيف عبر عن ذلك ليوآب بقوله: "فَالآنَ إِنِّي أَرَى وَجْهَ الْمَلِكِ، وَإِنْ وُجِدَ فِيَّ إِثْمٌ فَلْيَقْتُلْنِي. فَجَاءَ يُوآبُ إِلَى الْمَلِكِ وَأَخْبَرَهُ. وَدَعَا أَبْشَالُومَ فَأَتَى إِلَى الْمَلِكِ وَسَجَدَ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى الأَرْضِ قُدَّامَ الْمَلِكِ، فَقَبَّلَ الْمَلِكُ أَبْشَالُومَ" (١٤: ٣٢-٣٣).

وفي سفر أستير نقرأ عن انقلاب حال أو وجه الوجيه مردخاي ما يلي: "وَرَجَعَ مُرْدَخَايُ إِلَى بَابِ الْمَلِكِ. وَأَمَّا هَامَانُ فَأَسْرَعَ إِلَى بَيْتِهِ نَائِحاً وَمُغَطَّى الرَّأْسِ" (أس٦: ١٢)، "وَلَمَّا خَرَجَتِ الْكَلِمَةُ مِنْ فَمِ الْمَلِكِ غَطُّوا وَجْهَ هَامَانَ" (أس٧: ٨).

تغطية هامان رأسه (أس٦:١٢) هو تعبير عن الفعل الذي يأتيه رجل العهود القديمة عندما تنحسر النعمة عنه، وبدلاً منها يغطى الخزي والعار رأسه، فيلجأ لتعبير تغطية الوجه أو الرأس. إن هذا الغطاء يستره الآن بعد أن ذهب عنه السلطان الذي كان يغطى رأسه، فقد صار رأسه عرياناً فحجبها خزياً وخجلاً، بدأ يبكي وينعى نفسه ويقيم حداداً ومناحة عليها ويضع شعورياً ولا شعورياً الغطاء على وجهه[1].

وكان البدء بتغطية وجه هامان بعد إدانته بمثابة البدء في مراسيم تجريده والتشهير به، فقد زال عنه بهاء الملك الذي كان يغطيه ويجعله ذا وجه أو وجيهاً في قومه، فلما أصبح عرياناً من أي نعمة أو بهاء ملكي، انكشف وجهه، فوضع عليه الغطاء المهين، وقد كان قبيحاً بهامان أن يتغطى رأسه قبلاً حينما كان وجيهاً باصطباغه بالنعمة الملكية بمثوله بكرامة أمام وجه الملك.

وهذا المقطع يقدم تحليلاً لأمثال هذه الممارسات: "إن رفض السماح للناس بشرف أن يكون لهم وجه خاص بهم، هو مثال رئيسي على كيفية إنكار وضعهم كآدميين... ومن السمات العنصرية، كبت كل ما هو إنساني في الناس، وهذا يحتاج إلى تدمير العلاقة التي تشير إلى إنتمائهم للجنس البشري. والسخرية والعنصرية المهينة تعامل الناس كحيوانات، وتحط من قدرهم. ولكي يحرموا من درجتهم كآدميين يجب أن يحرموا رمزياً من وجوههم، حتى يمكن إحتقارهم وتدميرهم بسهولة أكبر"[2].

١- قابل: "الْيَوْمَ كُلَّهُ خَجَلِي أَمَامِي وَخِزْيُ وَجْهِي قَدْ غَطَّانِي. مِنْ صَوْتِ الْمُعَيِّرِ وَالشَّاتِمِ. مِنْ وَجْهِ عَدُوٍّ وَمُنْتَقِمٍ" (مز٤٤:١٥-١٦)، "لأَنِّي مِنْ أَجْلِكَ احْتَمَلْتُ الْعَارَ. غَطَّى الْخَجَلُ وَجْهِي" (مز٦٩:٧).

٢- دافيد لوبرتون. رسالة اليونسكو. أبريل ١٩٩٧ صـ ١١-١٢

ثالثاً: كتقليد أو طقس إجتماعي مرتبط بالزواج:

أ – حالة رفقة زوجة إسحق (تك٢٤:٦٥).

لما رأت رفقة عريسها إسحق أمامها: "فَأَخَذَتِ الْبُرْقُعَ وَتَغَطَّتْ" (تك٢٤:٦٥). و لم تكن عادة إجتماعية[١] شائعة، تغطية العبرانيات وجوههن[٢]. إلا أن تصرف رفقة كان بمثابة طقس البدء في الزواج.

ب – حالة ثامار (تك٣٨:١٤-١٥).

"كانت طقوس البغاء المقدس شائعة في جميع أرجاء الشرق القديم"[٣]. "انتشرت عبادة "اشتار" (عشتار) في جميع أرجاء الشرق وحاربها أنبياء العهد القديم"[٤]. وعلى سبيل المثال لا الحصر؛ يصرخ واحد من أنبياء كثيرين هو إرميا النبي من تأصل وقدم هذه العبادة وتأثيرها على إسرائيل: "لأَنَّهُ مُنْذُ الْقَدِيمِ كَسَرْتُ نِيرَكِ وَقَطَعْتُ قُيُودَكِ وَقُلْتِ: لاَ أَتَعَبَّدُ. لأَنَّكِ عَلَى كُلِّ أَكَمَةٍ عَالِيَةٍ وَتَحْتَ كُلِّ شَجَرَةٍ خَضْرَاءَ أَنْتِ اضْطَجَعْتِ زَانِيَةً!" (إر٢:٢٠).

ولعل أقدم إشارة لها في العهد القديم، ما ورد عن يهوذا مع ثامار التي استغلت طقوس البغاء الشائعة في أيامها – وقد كانت تعرف أن

١– العادات الاجتماعيّة هي: "السلوك المتكرر الّذي تفرضه الجماعة على الأفراد وتتوقع منهم أن يسلكوه وإلا تعرضوا لاستياء الجماعة وسخطها وانتقامها... وتتضمن كل ما تواضع عليه الناس من عادات اتفاقية، وعرف ومحرمات، وسنن، وتقاليد، وآداب لياقة، وشعائر وطقوس، ومراسم، وممارسات، وموضات، وبدع وتقاليع أو نزوات" (فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعيّة صـ ١٠٧، ١١٠). قابل الفصل الخامس من هذا الباب: غطاء رأس العروس.

٢– عن: دائرة المعارف الكتابية. الجزء الثاني صـ ١٣٩ (بتصرف).

٣– فراس السواح. لغز عشتار صـ١٩٢

٤– معجم الحضارات السامية. صـ ٨٣

حماها يهتم بها - في غوايته ثم تقييده بشروطها المُلزمة، فتحصل منه على حقوقها التي لم يقرها لها: "فَخَلَعَتْ عَنْهَا ثِيَابَ تَرَمُّلِهَا، وَتَغَطَّتْ بِبُرْقُعٍ وَتَلَفَّفَتْ، وَجَلَسَتْ فِي مَدْخَلِ عَيْنَايِمَ الَّتِي عَلَى طَرِيقِ تِمْنَةَ، لأَنَّهَا رَأَتْ أَنَّ شِيلَةَ قَدْ كَبُرَ وَهِيَ لَمْ تُعْطَ لَهُ زَوْجَةً. فَنَظَرَهَا يَهُوذَا وَحَسِبَهَا زَانِيَةً، لأَنَّهَا كَانَتْ قَدْ غَطَّتْ وَجْهَهَا" (تك٣٨: ١٤-١٥). "إن ثامار قد تنكرت في زي زناة المعابد الوثنية، لكي تتأكد من إيقاع فريستها. ويثبت هذا الرأي "البُرْقُع" في ع ١٤"[١]. ولعل في سفر الأمثال ما يشير أيضاً إلى عادة جلوسهن في مداخل المدن والطرق وزوايا الشوارع: "وَإِذَا بِامْرَأَةٍ اسْتَقْبَلَتْهُ فِي زِيِّ زَانِيَةٍ، وَخَبِيثَةِ الْقَلْبِ. صَخَّابَةٌ هِيَ وَجَامِحَةٌ. فِي بَيْتِهَا لاَ تَسْتَقِرُّ قَدَمَاهَا. تَارَةً فِي الْخَارِجِ، وَأُخْرَى فِي الشَّوَارِعِ، وَعِنْدَ كُلِّ زَاوِيَةٍ تَكْمُنُ" (أم٧: ١٠-١١).

وعندما عاد يهوذا ليبحث عن هذه المرأة، سأل أهل المكان عن امرأة وعادات معروفة ومقبولة منهم: "فَسَأَلَ أَهْلَ مَكَانِهَا قَائِلاً: "أَيْنَ الزَّانِيَةُ الَّتِي كَانَتْ فِي عَيْنَايِمَ عَلَى الطَّرِيقِ؟" " (تك٣٨: ٢١). أما سؤال يهوذا عنها: "أَيْنَ الزَّانِيَةُ" فحرفياً هو: "أين المرأة الناذرة نفسها"[٢]. "هي "بغيّ مُقَدَسة" بالمعنى الصحيح، جارية معبد وثني. لا ننسَ أننا في بيئة كنعانية"[٣]. حيث "كان جز الغنم (تك٣٨: ١٢) احتفالاً أشبه بالعيد (قارن ١صم٢٥: ٤، ١١، ٣٦) وهو وقت تشتد فيه تجربة الجنس بسبب الطقوس الكنعانية، التي شجعت الفسق الطقسي كعمل سحري في سبيل الخصوبة"[٤].

١- سفر التكوين. التفسير الحديث للكتاب المقدس. دار الثقافة ١٩٩٥ صـ٢١٤-٢١٥

٢- حاشية الكتاب طبعة بيروت. قابل (هو٤: ١٤) "النَّاذِرَاتِ الزِّنَى".

٣- حاشية الكتاب المقدس. دار المشرق

٤- سفر التكوين. التفسير الحديث للكتاب المقدس. دار الثقافة ١٩٩٥ صـ٢١٤-٢١٥

دلالات تغطية أو كشف الوجه
من عالم العهد القديم إلى العهد الجديد والليتورجيا إلى اليوم الأخير

كان الرؤساء والمتقدمون وصفوة المجتمع يسموهم "وجوه" أو "وجهاء"، لحظوهم وظهورهم أمام وجه الملوك والحكام (٢صم ١٤:٣٢، اس١:١٤) وفى محضرهم بدون ما يحجب وجوههم عنهم لأنه "فِي نُورِ وَجْهِ الْمَلِكِ حَيَاةٌ" (أم١٦:١٥)، فيذكر الكتاب المقدس من هذه الفئات: "وُجُوهِ الْجَلِيلِ" (مر٦:٢١)، "وُجُوهِ النَّاسِ" (مت٢٢:١٦ ، مر١٢:١٤)، "وُجُوهَ الْمَدِينَةِ" (أع١٣:٥٠)، "وُجُوهِ أَسِيَّا" (أع١٩:٣١)، "وُجُوهُ الْيَهُودِ" (أع ٢٥:٢، ٢٨:١٧). و"الوجاهة" هي الحرمة والقدر والجاه. و"الوجه": سيد القوم وشريفهم... و"الوجيه": ذو الجاه، وسيد القوم"[١].

وقد عبَّر بطرس في عظة الخمسين عما فعله "وجوه اليهود" بالمسيح عند تسليمهم له للصلب بقوله: "يَسُوعَ الَّذِي أَسْلَمْتُمُوهُ أَنْتُمْ وَأَنْكَرْتُمُوهُ أَمَامَ وَجْهِ بِيلاَطُسَ وَهُوَ حَاكِمٌ بِإِطْلاَقِهِ" (أع٣:١٣)، أي جعلوه لا يحظى بما يليق به أمام وجه بيلاطس فسلمه للموت بالصليب، "كَمُسَتَّرٍ عَنْهُ وُجُوهُنَا، مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدَّ بِهِ" (أش٥٣:٣).

وإن كان عند ملوك الأرض محاباة للوجوه فان "اللهَ لاَ يَقْبَلُ الْوُجُوهَ" (أع١٠:٣٤) "لأَنَّ حُكماً لا يُشفقُ يُجْرى على الوجَهاء. فإنّ الصّغيرَ أَهْلٌ للرّحمَة، أمّا أَرْبابُ القُوّة فبقُوَّة يُفحَصون" (حك٦:٥-٦)، فليس عند الله "مُحَابَاةُ الْوُجُوهِ" (أم٢٤:٢٣، ٢٨:٢١)، لأن "فَاحِصَ الْقُلُوبِ وَالْكُلَى اللهُ الْبَارُّ" (مز٧:٩ ، رؤ٢:٢٣). ولأن الرب يفصل بين الأشرار والأخيار ويُميِّز

١- المعجم الوسيط. الجزء الثاني صـ ١٠٥٧، وقد وصف المسيح بأنه "وَجيهًا..." إذ أنه القائم إلى الأبد "أَمَامَ وَجْهِ اللهِ" (عب٩:٢٤)، ولأجل تجلي "مَجْدِ اللهِ فِي وَجْهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (٢كو٣:٦). وموسى كليم الله وصف كذلك بأنه "وَجيهًا" بحسب قوله لشعبه: "وَجْهًا لِوَجْهٍ تَكَلَّمَ الرَّبُّ مَعَنَا فِي الْجَبَلِ مِنْ وَسَطِ النَّارِ" (تث٥:٤). وكُتب عنه: "وَلَمْ يَقُمْ بَعْدُ نَبِيٌّ فِي إِسْرَائِيلَ مِثْلُ مُوسَى الَّذِي عَرَفَهُ الرَّبُّ وَجْهًا لِوَجْهٍ" (تث٣٤:١٠).

"بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْض كَمَا يُمَيِّزُ الرَّاعِي الْخِرَافَ مِنَ الْجِدَاءِ" (مت٢٥:٣٢)، فيقال: "وَجْهُ الرَّبِّ قَسَمَهُمْ. لاَ يَعُودُ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ" (مراثي٤:١٦).

إن هذا الخزي الذي كسا وجه هامان (أس٧:٨،٦:١٢) وغيره، هو نفس الخزي الذي سيكسو وجوه الذين أسلموا يسوع وأنكروه "أَمَامَ وَجْه بيلاَطُسَ" (أع٣:١٣)، حينما سيظهر حمل الله بمجده وقوته، "وَمُلُوكُ الأَرْضِ وَالْعُظَمَاءُ وَالأَغْنِيَاءُ وَالأُمَرَاءُ وَالأَقْوِيَاءُ وَكُلُّ عَبْد وَكُلُّ حُرٍّ، أَخْفَوْا أَنْفُسَهُمْ فِي الْمَغَايِرِ وَفِي صُخُورِ الْجِبَالِ، وَهُمْ يَقُولُونَ لِلْجِبَالِ وَالصُّخُورِ: "اُسْقُطِي عَلَيْنَا وَأَخْفِينَا عَنْ وَجْهِ الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَعَنْ غَضَبِ الْحَمَلِ، لأَنَّهُ قَدْ جَاءَ يَوْمُ غَضَبِهِ الْعَظِيمُ. وَمَنْ يَسْتَطِيعُ الْوُقُوفَ؟" (رؤ٦:١٥-١٧).

وفي أمر الرب لموسى في العهد القديم "وَتَجْعَلُ عَلَى الْمَائِدَةِ خُبْزَ الْوُجُوهِ أَمَامِي دَائِماً"(خر ٢٥: ٣٠)، دلالة على قبول الرب حضور شعب إسرائيل ممثلاً في عدد أسباطه أمام وجهه. وفى الحقيقة فإن المسيح هو خبز الوجوه الحقيقي القائم إلى الأبد "أَمَامَ وَجْهِ الله" (عب٩:٢٤)، فبعد أن كان لنا اختباء الخجل من وجه الله وسقوط وجوهنا أمامه، أحضرنا المسيح إلى مجد الآب، "لأَنَّ الْمَسِيحَ لَمْ يَدْخُلْ إِلَى أَقْدَاسٍ مَصْنُوعَةٍ بِيَدٍ أَشْبَاهِ الْحَقِيقِيَّةِ، بَلْ إِلَى السَّمَاءِ عَيْنِهَا، لِيَظْهَرَ الآنَ أَمَامَ وَجْهِ الله لأَجْلِنَا" (عب٩:٢٤).

وللعلامة أوريجينوس تفسير روحي هام لدلالة تغطية الوجه ورمزية البرقع الموضوع عليه:

> "يقول هؤلاء المعترفون بخطاياهم: ”نضطجع في خزينا، ويغطينا خجلنا (ببرقع)“ (إر٣:٢٥). لقد اعتدنا أن نتحدث عن البرقع الموضوع على وجه الذين لا يرجعون إلى الرب. وبسبب هذا البرقع فحين يُقرأ موسى (٢كو٣:١٥) لا يفهم الخاطئ، لأن البرقع موضوع على قلبه. فنحن نقول

بخصوص البرقع إن الخزي هو هذا البرقع، فطالما توجد عندنا أفعال الخزي، فمما لاشك فيه أن البرقع موجود أيضاً عندنا، بحسب ما قيل في المزمور: "وخزي وجهي قد غطاني (ببرقع)" (٤٤:١٥). إذاً فنحن الذين لا نعمل أعمالا مخزية لن يكون عندنا برقع. وهذا ما قاله بولس الرسول: "ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة" (٢كو٣:١٨). فإذا كنا نريد أن نترع البرقع الناجم عن الخزي فلنعمل الأعمال المجيدة... وعلى سبيل المثال، حينما يستقر الغضب في نفوسنا، يكون مثل البرقع على الوجه، ولهذا فعندما نريد أن نقول في صلاتنا: "قد أضاء علينا نور وجهك يا رب" (مز٤:٦)، فلنرفع البرقع ولننفذ ما قاله الرسول: "فأريد أن يصلي الرجال في كل مكان رافعين أيادي طاهرة بدون غضب ولا جدال" (١تي٢:٨). فإذا نزعنا الغضب نكون قد نزعنا البرقع[1]، وهكذا أيضاً بالنسبة لجميع الخطايا. ولكن طالما الخطايا موجودة في فكرنا فإن البرقع سوف يظل موجوداً على وجوهنا الداخلية بصورة تحجب عنا رؤية مجد الله المضيء. إن الله لا يخفي عنا مجده، ولكننا نحن بوضعنا برقع الخطية على نفوسنا نعمل على عدم رؤية مجد الله"[2].

١- بعد مسيرة للتوبة في صلاة عشية وباكر انحنت فيها الرؤوس طلباً لمراحم الله للخطاة، وبعد صلاة الصُلح التي تُختتم بتبادل القبلة المقدسة علامة لإتمام السلام والمصالحة الأخوية بين المزمعين التقدم للمناولة، يُرفع الابروسفارين (غطاء التقدمة) الذي يغطي القربان الموضوع على المذبح، علامة تقدمهم لمعاينة مجد الله ولمس وتناول جسد إبنه المقدس. (قابل: الباب الثالث، الفصل الخامس: غطاء التقدمة وغطاء رأس الكاهن).

٢- العلامة أوريجينوس. عظات على سفر إرميا صــ ٣٨- ٣٩

يقول القديس مقاريوس الكبير:

"هناك برقع موضوع على قلبك لكي لا تتطلع إلى مجد الله فتراه. ولكن حينما يترع هذا البرقع، فإن (المسيح) يضيء ويظهر نفسه للمسيحيين أي لأولئك الذين يحبونه ويطلبونه بالحق"[١].

إن رجاء المسيحيين في مجد الله الأبدي هو نوال موعده الأخير والمتمم كل وعد وعهد بأنهم "سَيَنْظُرُونَ وَجْهَهُ" (رؤ٢٢:٤)، أن يصيروا "جميعاً نَاظِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْه مَكْشُوف[٢]" (٢كو٣:١٨)، "وَجْهًا لِوَجْه"(١كو١٣:١٢). هناك يرفع الرب وجههم، ومع هذا فسيسجدون لمهابته مع الملائكة بوجوههم بتمجيد وشكر كما رأى يوحنا: "بَعْدَ هَذَا نَظَرْتُ وَإِذَا جَمْعٌ كَثِيرٌ لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَعُدَّهُ، مِنْ كُلِّ الأُمَمِ وَالْقَبَائِلِ وَالشُّعُوبِ وَالأَلْسِنَةِ، وَاقِفُونَ أَمَامَ الْعَرْشِ وَأَمَامَ الْحَمَلِ، مُتَسَرْبِلِينَ بِثِيَابٍ بِيضٍ وَفِي أَيْدِيهِمْ سَعَفُ النَّخْلِ وَهُمْ يَصْرُخُونَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلِينَ: "الْخَلاَصُ لإِلَهِنَا الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَلِلْحَمَلِ". وَجَمِيعُ الْمَلاَئِكَةِ كَانُوا وَاقِفِينَ حَوْلَ الْعَرْشِ وَالشُّيُوخِ وَالْحَيَوَانَاتِ الأَرْبَعَةِ، وَخَرُّوا أَمَامَ الْعَرْشِ عَلَى وُجُوهِهِمْ وَسَجَدُوا لِلَّهِ قَائِلِينَ: "آمِينَ! الْبَرَكَةُ وَالْمَجْدُ وَالْحِكْمَةُ وَالشُّكْرُ وَالْكَرَامَةُ وَالْقُدْرَةُ وَالْقُوَّةُ لإِلَهِنَا إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ. آمِينَ"" (رؤ٧:٩-١٢).

يقول القديس أمبروسيوس:

"قُل له إنه ليس لك إيمان بالابن، وسوف يجيبك: ألم أقل لك: "هذا هو ابني الحبيب له اسمعوا" (مت١٧:٥)... إن هذا ما سمعه الرسل كما هو مكتوب: "ولما سمعوا التلاميذ

١- العظة ٣٨:١

٢- في بعض الترجمات العربية القديمة عن القبطية: "بوجوه مُسَفَّرة". ومعنى "سَفَرَ": وضح وانكشف... يقال: سفر وجهه حُسناً: أشرق وعلاه جمالٌ. عن المعجم الوسيط. الجزء الأول صــ ٤٤٩

سقطوا على وجوههم وخافوا جداً" (مت١٧: ٦). فإن كان الذين اعترفوا به سقطوا على الأرض، فماذا يعمل الذين ينكرونه؟ أما يسوع فوضع يده على الرسل وأقامهم، أما أنت فسوف يتركك منبطحاً على وجهك حتى لا ترى المجد الذي أنكرته"[١].

ويقول القديس مقاريوس الكبير:

"تيقظوا بالروح وامتلئوا بالإيمان حتى تمضوا إلى الرب بدالة، ووجوهكم مكشوفة وأعمالكم نيرة لتستحقوا الدخول إلى أورشليم السماوية، وتنالوا الإكليل الذي لا يبلى"[٢].

يختم هذه التعاليم الآبائية، ختم صلوات قسمة القداس بهذه الطلبة:

"لكي بقلب طاهر ونفس مستنيرة ووجه غير مخزي... نجسر بدالة بغير خوف أن نطلب إليك يا الله الآب القدوس الذي في السموات ونقول أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك...".

١- شرح الإيمان المسيحي. الكتاب الثاني. ١٤: ١٢٧ صـ ١٣٦-١٣٧

٢- راهب ببرية شهيت. فردوس الآباء. الجزء الأول صـ ٢٣٤

ما معنى

"مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضاً" (مت٥:٣٩)؟

في نفس فقرات وسياق الآية، قال أيضاً المسيح:

+ "قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَزْنِ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ. فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ الْيُمْنَى تُعْثِرُكَ فَاقْلَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ لأَنَّهُ خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلاَ يُلْقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ وَإِنْ كَانَتْ يَدُكَ الْيُمْنَى تُعْثِرُكَ فَاقْطَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ لأَنَّهُ خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلاَ يُلْقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ" (مت٥:٢٧-٣٠).

+ "لأَنَّكُمْ بِالدَّيْنُونَةِ الَّتِي بِهَا تَدِينُونَ تُدَانُونَ وَبِالْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ. وَلِمَاذَا تَنْظُرُ الْقَذَى الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ وَأَمَّا الْخَشَبَةُ الَّتِي فِي عَيْنِكَ فَلاَ تَفْطَنُ لَهَا؟ أَمْ كَيْفَ تَقُولُ لأَخِيكَ: دَعْنِي أُخْرِجِ الْقَذَى مِنْ عَيْنِكَ وَهَا الْخَشَبَةُ فِي عَيْنِكَ. يَا مُرَائِي أَخْرِجْ أَوَّلاً الْخَشَبَةَ مِنْ عَيْنِكَ وَحِينَئِذٍ تُبْصِرُ جَيِّداً أَنْ تُخْرِجَ الْقَذَى مِنْ عَيْنِ أَخِيكَ!" (مت٧:٢-٥).

+ "وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صَنَعْتَ صَدَقَةً فَلاَ تُعَرِّفْ شِمَالَكَ مَا تَفْعَلُ يَمِينُكَ" (مت٦:٣).

يظهر من كلام المسيح - في الفقرات السابقة - الذي يذكر فيه أسماء الأعضاء الإنسانية، أنه لا يتكلم حرفياً عن أعضاء جسمية، بل عن أعضاء نفسية منطلقاً من الوظيفة الخاصة بكل عضو في الجسد. فكل أسماء هذه الأعضاء الجسدية ("عَيْنُكَ الْيُمْنَى"، "يَدُكَ الْيُمْنَى"، "خَدِّكَ الأَيْمَنِ"، "رِجْلُكَ"...) لم تُفهم من سامعي يسوع بطريقة حرفية. إن سامعيه يفهمون جيداً هذه اللغة التصويرية التي تملأ كتبهم المقدسة، وتشغل كذلك

أذهانهم وطريقة تفكيرهم، وقد تربّوا على امتصاص مقاصدها المعنوية من تعبيراتها الحسية. فقد قرأوا وفهموا وحفظ الأتقياء منهم – على سبيل المثال لا الحصر – المعنى المقصود من قول الرب لهم على فم يؤئيل النبي: "اَلآنَ، يَقُولُ الرَّبُّ، ارْجِعُوا إِلَيَّ بِكُلِّ قُلُوبِكُمْ، وَبِالصَّوْمِ وَالْبُكَاءِ وَالنَّوْحِ. وَمَزِّقُوا قُلُوبَكُمْ لاَ ثِيَابَكُمْ" (يؤ٢:١٢-١٣)، أو حزقيال النبي: "اعْمَلُوا لأَنْفُسِكُمْ قَلْباً جَدِيداً وَرُوحاً جَدِيدَةً" (حز١٨:٣١). دون أن يخطر على ذهنهم إحضار سكاكين أو سيوف لطعن صدورهم وإخراج قلوبهم لتمزيقها أو استبدالها.

وبالعودة للتعمق أكثر في قول المسيح: "سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضاً" (مت٥:٣٨-٣٩). فبما أن الوجه هو التعبير الحسي عن قدر الكرامة أو الحظوة – كما تقدم شرحه – وباعتبار أن الخد أو الفك هو مُقدم الوجه الذي يتلقى اللطمات أو الصفعات، فقد استخدمه المسيح ليعبر به بالأكثر عن وقع الاعتداء المعنوي أو الإهانة النفسية التي تصيب مكانة الإنسان أو وجاهته بصورة عامة.

أما كلمة المسيح للملطوم على خده: "حَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضاً"، فلا يعني بها إعطاء الخد الآخر حتى يلطمه المعتدي كيفما يشاء. بل يأمل في تصرف الطرف المهان بمنطق آخر. يريد يسوع أن يكشف عن هذا المنطق الآخر الجديد. وكأنه يقول لكل مُهانٍ:

لديك الكثير لتقدمه أو تعمله بدلاً من رد اللطم بلطم والعين بعين والسن بسن.

لا تجعل من نفسك آلة رد فعل لفعل خاطئ، بل كُن مبادراً وإيجابياً وخلاقاً في المقابل. "لاَ تُجَاوِبِ الْجَاهِلَ حَسَبَ حَمَاقَتِه لِئَلاَّ تَعْدِلَهُ أَنْتَ (لِئَلاَّ تَكونَ أَنتَ نَظيرَه – ترجمة دار المشرق)" (أم٢٦:٤). "اَلْجَاهِلُ

يُظْهِرُ كُلَّ غَيْظِه، وَالْحَكِيمُ يُسَكِّنُهُ أَخيراً" (أم٢٩ :١١)، فلا تكن جاهلاً مقابل جاهل. أنتم لستم مدعوين لمعاداة الخطاة والتشبه بهم[١]، بل مدعوون للتشبه بأبيكم السماوي. "كُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ" (مت٥ :٤٨).

"اَلْبُغْضَةُ تُهَيِّجُ خُصُومَات، وَالْمَحَبَّةُ تَسْتُرُ كُلَّ الذُّنُوبِ" (أم١٠ :١٢)، فلا تكن مبغضاً للمخاصم. بل حول له وجهاً آخر غير الوجه الذي يتوقعه منك، تعلم هذا: "إِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ خُبْزًا، وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِه مَاءً، فَإِنَّكَ تَجْمَعُ جَمْرًا عَلَى رَأْسه، وَالرَّبُّ يُجَازِيكَ" (أم٢٤ :٢١-٢٢). "أَمَّا أَنْتُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ فَلاَ تَفْشَلُوا فِي عَمَلِ الْخَيْرِ" (٢تس٣ :١٣).

الذي أراد لك خزي الوجه، رُد الخزي على وجهه هو، بأن تجعل وجهه هو مغطى بعمله المخزي. أُنقده وبين ضلاله أمام الجميع. "جَاوِبِ الْجَاهِلَ حَسَبَ حَمَاقَتِه لئَلاَّ يَكُونَ حَكِيمًا فِي عَيْنَيْ نَفْسه" (أم٢٦ :٥). قل له علانية: "إِنْ كُنْتُ قَدْ تَكَلَّمْتُ رَدِيًّا فَاشْهَدْ عَلَى الرَّدِيِّ، وَإِنْ حَسَنًا فَلِمَاذَا تَضْرِبُنِي؟" (يو١٨ :٢٣).

أمام القضاء ترافع: "إِنْ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا يَشْتَكِي عَلَيَّ به هؤُلاَءِ، فَلَيْسَ أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُسَلِّمَنِي لَهُمْ. إِلَى .... (قَيْصَرَ) أَنَا رَافِعٌ دَعْوَايَ"(أع٢٥ :١١).

١- جلس كاهن هندوسي على ضفة نهر وراح يتأمل في الجمال المحيط به ويتمتم صلواته. لمح عقربا وقد وقع في الماء وأخذ يتخبط محاولا أن ينقذ نفسه من الغرق. قرر الكاهن أن ينقذه، مدّ له يده فلسعه العقرب. سحب الكاهن يده صارخا من شدّة الألم، ولكن لم تمض سوى دقيقة واحدة حتى مدّ يده ثانية لينقذه فلسعه العقرب. سحب يده مرة أخرى صارخا من شدة الألم وبعد دقيقة راح يحاول للمرة الثالثة. على مقربة منه كان يجلس رجل آخر ويراقب ما يحدث، فصرخ بالكاهن: أيها الغبي، لم تتعظ من المرة الأولى ولا من المرة الثانية، وها أنت تحاول إنقاذه للمرة الثالثة! لم يأبه الكاهن لتوبيخ الرجل وظل يحاول حتى نجح في إنقاذ العقرب، ثم مشى باتجاه ذلك الرجل وربت على كتفه قائلا: «يا بني، من طبع العقرب أن يلسع ومن طبعي أن أحب، فلماذا تريدني أن أسمح لطبعه أن يتغلب على طبعي؟!»

أخجل الجلادين بصوت بولس: "ضَرَبُونَا جَهْرًا غَيْرَ مَقْضِيٍّ عَلَيْنَا، وَنَحْنُ رَجُلاَن ....(رُومَانيَّان)، وَأَلْقَوْنَا في السِّجْن. أَفَالآنَ يَطْرُدُونَنَا سرًّا؟ كَلاَّ! بَلْ لِيَأْتُوا هُمْ أَنْفُسُهُمْ وَيُخْرِجُونَا. فَأَخْبَرَ الْجَلاَّدُونَ الْوُلاَةَ بِهذَا الْكَلاَم، فَاخْتَشَوْا لَمَّا سَمعُوا أَنَّهُمَا ....(رُومَانيَّان). فَجَاءُوا وَتَضَرَّعُوا إِلَيْهِمَا وَأَخْرَجُوهُمَا" (أع١٦:٣٧-٣٩).

لا تأخذنا نشوة الإنتفاض ضد اللطم بهذه الآيات، قبل أن نتأكد أن يسوع يفترض في سامعيه أولاً ألا يُلطموا عقاباً على أخطاء ارتكبوها. وهذا ما أنذرنا به الرسول بطرس بقوله: "لأَنَّ هذَا فَضْلٌ، إِنْ كَانَ أَحَدٌ منْ أَجْلِ ضَمِيرٍ نَحْوَ الله، يَحْتَملُ أَحْزَانًا مُتَأَلِّمًا بِالظُّلْم. لأَنَّهُ أَيُّ مَجْد هُوَ إِنْ كُنْتُمْ تُلْطَمُونَ مُخْطِئِينَ فَتَصْبِرُونَ؟" (١بط٢:١٩-٢٠). وهو إنذار شبيه بإنذار الرب أورشليم القديمة، عند تأديبها بالسبي: "طَرِيقُك وَأَعْمَالُك صَنَعَتْ هذه لَك. هذَا شَرُّك. فَإِنَّهُ مُرٌّ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَ قَلْبَك" (إر٤:١٨). ينذرنا الرسول بولس، بأولوية الحكم على أنفسنا في كل شيء: "لَوْ كُنَّا حَكَمْنَا عَلَى أَنْفُسنَا لَمَا حُكِمَ عَلَيْنَا وَلَكِنْ إِذْ قَدْ حُكِمَ عَلَيْنَا نُؤَدَّبُ مِنَ الرَّبِّ" (١كو١١:٣١-٣٢).

الأهم من ألا نُلطم ويكون لنا خزي الوجه أمام العالم، أن لا يكون لنا خزي الوجه أمام الله، حينئذ يرفع الله وجهنا ويخفض وجه اللاطمين كذباً وافتراءً.

الفصل الرابع

الشَعْر
في التراث الإنساني والكتابي والليتورجي

"كلمة شَعْر (كابيلوس Capillos)، مشتقة في اللاتينية من جذر كابوت Caput بمعنى رأس، فالكابيلوس إذاً شعر الرأس على وجه التخصيص"(١).

و"منذ زمن سحيق اعتبر البشر أن في الشَعْر قوة خفية وأنه مركز القوة والقدرة في الإنسان. ونجد في قصة شمشون الواردة في الكتاب المقدس مثلاً على هذا الاعتقاد. وما زلنا حتى اليوم نرى ما يماثله، عبر الانشغال المتواصل بشعره وبتسريحه. وهكذا يبقى الشعر تعبيراً ورمزاً إلى الهوية القومية... وإحدى الوسائل الأساسية للتعبير عن الذات وتأكيد الهوية"(٢).

أولاً: الشَعرْ في عالم العهد القديم

بالإضافة إلى أهمية التزين والتجمل بالشعر على مدى العصور، فإن لقص الشعر أو إطالته، لتصفيفه أو إهماله، لحلّه أو ربطه، مدلولات طقسية ودينية متعددة في العالم القديم، نذكر منها:

١- لويس عوض. فقه اللغة العربية صـــ ٣٥٠

٢-الأب ألكسندر شيمن. بالماء والروح صـــ ١٨٥-١٨٦

أ: حلّ الشَعْر:

١- "حلّ الشعر علامة القتال (قض٥:٢). يعني أن شعر المقاتلين كان طويلاً، بما أن الذاهبين إلى الحرب كانوا يُعتبرون مكرسين لمهامهم.

٢- تحلّ المرأة الشعر وتكشفه بعد اتهام الرجل لها بالخيانة الزوجية، كإجراء طقوسي عند التحقيق في دعواه (عد٥:١٨).

٣-حلّ الشعر يدل أيضاً على الحداد (لا١٠:٦ ، ٢١:١٠) أمام الموت"[١]. وقد كانت تقام المناحات والبكاء عند الموت "ويدوم الحزن ثلاثين يوماً. في الأيام الثلاثة الأولي، لا يقوم أهل الميت بأي عمل، ولا يحيون الناس في الشارع، ولا يحلق التقي منهم شعره ولا يغتسل، ويلبس أهل المتوفي رثّ الثياب أو المسوح"[٢].

وهذه شهادة مؤثرة في وثيقة تعذيب بربيتوا وفليسيته في قرطاجة، يظهر في ثناياها التعبير التلقائي برمزية ربط الشعر ممتزجة بحرص الحشمة عند مواجهتهما موت الشهادة، واستقباله بالفرح لا بالحداد:

"حُبستا عاريتين تماماً في شباك وأُحضرتا على هذا النحو إلى الحلبة. فارتعش الجمهور خجلاً من المشهد، حين رأى أن إحداهما في غاية الهزال، وأن الأخرى تكاد أن تنهض من الولادة، والحليب يسيل من ثدييها. فاستُرجعتا وأُلبستا قمصاناً بلا حزام. كانت بربيتوا أول من أُلقي في الجوّ، فوقعت على كليتها. وما أن تمكنت من الجلوس، حتى اكتشفت أن ثوبها تمزّق من جانبه، فسارعت إلى

١- المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم صـــ ٧١٣

٢- مجتمع يسوع . صـــ ١٤٧

شده لتغطي ساقيها، إذ كان اهتمامها بالاحتشام أكبر من اهتمامها بالأوجاع. ثم أخرجت دبوساً وربطت شعرها بعد أن انفكّت خُصَلُه، لأنه لا يمكن للشهيدة أن تموت وشعرها مشعَّث، لكي لا تبدو وكأنَّها في حالة حداد يوم تمجيدها. ثم نهضت ورأت فيليسيته وهي تبدو مهشَّمة، فاقتربت منها ومدّت إليها يدها وساعدتها على النهوض. وحين رآهما الجمهور وهما واقفتان، انهزمت قساوته الوحشية، فأُخرجتا من باب الأحياء"[١].

ب : لف أو ربط شَعْر العروس:

"تحت وشاح (طرحة) العروس يُلف شعر العروس لأول مرة حيث أن الشعر المنسدل يصور الحرية والشعر الملفوف يمثل الحالة الزوجية"[٢].

ج : قصّ أو قرع الشَعْر:

١- أوصت شريعة موسى الكهنة أن "لاَ يَجْعَلُوا قَرْعَةً فِي رُؤُوسِهِمْ، وَلاَ يَحْلِقُوا عَوَارِضَ لِحَاهُمْ" (لا٥:٢١)، علامة تكريسهم لخدمة الكهنوت.

٢- بينما كان الكف عن حلق الشعر وحلّه، علامة من علامات الحزن والحداد - كما سبق عرضه - "كان طقس حداد آخر يقوم بحلق الشعر (أي١:٢٠ ، أش١٥:٢ ، إر٧:٢٩ ، مي١:١٦)"[٣].

٣- أما قرع الرأس وجز الشعر وتخميش الجسم ولبس المسوح في وقت

١- عن: تاريخ الكنيسة المفصل. المجلد الأول صـ ٩٩-١٠٠

٢- ج. كوبر. الرمزية في الفن المسيحي صـ ٧٩

٣- المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم صـ ٧١٣

الحزن والحداد، كعادات وطقوس، فسوف تكون محظورة في سفر التثنية: "أَنْتُمْ أَوْلاَدٌ لِلرَّبِّ إِلهِكُمْ. لاَ تَخْمِشُوا أَجْسَامَكُمْ وَلاَ تَجْعَلُوا قَرْعَةً بَيْنَ أَعْيُنِكُمْ لأَجْلِ مَيِّتٍ" (١٤: ١). ويتكلم سفر أرميا عن "مَقْصُوصِي الشَّعْرِ مُسْتَدِيرًا السَّاكِنِينَ فِي الْبَرِّيَّةِ" (٩:٢٦ ، ٢٥:٢٣)، أي "قص الشعر من جانبي اللحية، وجوانب الرأس. وهي عادة انتشرت بين بعض القبائل في الصحراء العربية، وبعض الأمم الوثنية. والشخص الذي لا يقص شعره على هذا الشكل كان يقطع من الهياكل. ولقد منع الله شعبه من التقليد الخاص بهذه الممارسة: "لاَ تُقَصِّرُوا رُؤُوسَكُمْ مُسْتَدِيراً وَلاَ تُفْسِدْ عَارِضَيْكَ" (لا١٩: ٢٧)[١]. "أما حلق الرأس مستديراً فهو محرم، لأنه ممارسة كنعانية (لا١٩: ٢٧، ٢١: ٥ ، تث١٤: ١)"[٢]، و"لأنها كانت تمارس في إطار عبادة البعل"[٣].

٤-وقد كان قرع رأس وحلق شعر ولحى الأسرى من قبل آسريهم أو مستعبديهم، أمراً منتشراً للتنكيل بهم وبشعوبهم:

"فِي ذلِكَ الْيَوْمِ يَحْلِقُ السَّيِّدُ بِمُوسَى مُسْتَأْجَرَةٍ فِي عَبْرِ النَّهْرِ، بِمَلِكِ أَشُّورَ، الرَّأْسَ وَشَعْرَ الرِّجْلَيْنِ، وَتَنْزِعُ اللِّحْيَةَ أَيْضًا" (أش٧: ٢٠).

وعندما أراد حانون ملك بني عمون أن يستهزئ بعبيد داود الذين أرسلهم للتعزية في وفاة أبيه "أَخَذَ حَانُونُ عَبِيدَ دَاوُدَ وَحَلَقَ أَنْصَافَ لِحَاهُمْ، وَقَصَّ ثِيَابَهُمْ مِنَ الْوَسَطِ إِلَى أَسْتَاهِهِمْ، ثُمَّ أَطْلَقَهُمْ" (٢صم١٠: ٤).

وتأتي كلمات الأنبياء للشعب - مُخاطَباً في صورة إمرأة - لجز الشعر والبكاء، بمثابة إنذار لاذع بالخراب والويل الآتي، لا للحث على تأدية هذه الطقوس حرفياً، إنما من أجل تعظيم دوافعهم الإيجابية الساكتة، للتجديد

١- سعيد مرقص إبراهيم. معجم الألفاظ العسرة صـ ٣٣٠

٢- المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم صـ ٧١٣

٣- معجم اللاهوت الكتابى صـ ٣٤١ قابل لا٢١: ٥ ، تث١٤: ١

والارتداد عن طرقهم الجالبة المذلة والانكسار على أيدي غزاة لا يرحمون، سيحملونهم على هذه الأفعال المحزنة والمخزية رغماً عنهم، ومنها:

ـــ "وَدَعَا السَّيِّدُ رَبُّ الْجُنُود في ذَلكَ الْيَوْم إِلَى الْبُكَاء وَالنَّوْح وَالْقَرْعَة وَالتَّنَطُّق بالْمسْح. فَهُوَذَا بَهْجَةٌ وَفَرَحٌ ذَبْحُ بَقَر وَنَحْرُ غَنَم أَكْلُ لَحْم وَشُرْبُ خَمْر! لِنَأْكُلْ وَنَشْرَبْ لأَنَّنا غداً نَمُوتُ" (أش٢٢:١٢ـ١٣).

ـــ "فَيَمُوتُ الْكبَارُ وَالصِّغَارُ في هَذه الأَرْض. لاَ يُدْفَنُونَ وَلاَ يَنْدُبُونَهُمْ وَلاَ يَخْمشُونَ أَنْفُسَهُمْ وَلاَ يَجْعَلُونَ قَرَعَةً مِنْ أَجْلِهِمْ" (أر١٦:٦).

ـــ "جُزِّي شَعْرَك وَاطْرَحيه وَارْفَعِي عَلَى الْهِضَاب مَرْثَاةً لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ رَفَضَ وَرَذَلَ جيلَ رِجْزِه" (أر٧:٢٩).

ـــ "وَأُحَوِّلُ أَعْيَادَكُمْ نَوْحاً وَجَميعَ أَغَانيكُمْ مَرَاثِيَ وَأُصْعِدُ عَلَى كُلِّ الأَحْقَاء مسْحاً وَعَلَى كُلِّ رَأْسٍ قَرْعَةً وَأَجْعَلُهَا كَمَنَاحَةِ الْوَحِيد وَآخرَهَا يَوْماً مُرّاً!" (عا٨:١٠).

ـــ "كُوني قَرْعَاءَ وَجُزِّي مِنْ أَجْلِ بَنِي تَنَعُّمِكِ. وَسِّعِي قَرْعَتَكِ كَالنَّسْرِ لأَنَّهُمْ قَدِ انْتَفُوا عَنْكِ" (مي١:١٦).

ثانياً: الشّعْر في العالم اليوناني القديم ومحيط الرسول بولس

أً: قص الشباب شعرهم:

كان القص الطقسي عملاً معروفاً في بلاد اليونان وروما. "كان اليوم الذي يحلق فيه الشاب لحيته أول مرة يوم عيد يحتفل به في حياته. وكثيراً ما كان يهب شعر عارضيه الأول إلى إله من الآلهة دليلاً على ورعه وتقواه"[1]. ويبدو من هذا الوصف حرص الوالد على هذا الطقس في تربية

١- ول ديورانت. قصة الحضارة (١٠) صـ ٣٢١

الولد: "يأخذ ابنه معه إلى دلفي لكي يحلق شعره... وذلك احتفالاً بوصوله إلى سن البلوغ بتقديم شعره إلى أبوللو (في معبده المشهور بدلفي) الذي حُلِقَ شعره في سن الخامسة عشرة"(١).

ب : قص الفتيات شعرهن:

أما قص الفتيات المقبلات على الزواج، خصلة من شعرهن وتقديمها كشعيرة دينية، بدلاً من قص الشعر كله، فقد ذُكرت في "أسطورة هيبوليتوس Hippolitos الشاب الغض الذي يرفض الحب ويموت أبشع ميتة عندما يُمزق إرباً في نوبة غضب من نوبات جياده... وتعلن أرتميس قائلة: إليك أيها المنكوب سوف أخلع عظيم الشرف من أجل معاناتك العظمى في مدينة تروزين Troezen ومن أجلك سوف تقص الفتيات شعورهن قبل يوم زفافهن وسوف تتلقى دموع أحزانهن عبر الدهور والأحقاب. والشعيرة الدينية المشار إليها تحكي أن فتيات مدينة تروزين تقدمن قبل الزواج خصلة من شعورهن إلى هيبوليتوس، ويرمز هذا الفعل إلى ما تفقده الفتيات من زينتهن التي يتعين عليهن التضحية بها وتقديمها إلى هيبوليتوس الذي يرمز إلى القدرية والتضحية كما يرمز إلى الخسارة الفادحة، خسارة شيء رفيع القيمة غالي الثمن"(٢).

وكان تقديم الفتاة خصلة من شعرها بديلاً عن تقديم جسدها لآلهة الجنس، عملاً طقسياً متبعاً في هياكلها. لأن "عشتار (كانت) سيدة الجنس الحر لا سيدة الجنس الزوجي. (فقد) أخذت المرأة تقدم في المعبد شعرها بدل جسدها لإله الدافع الجنسي (بعد أن) أُعفيت عامة النساء من تقديم هذه الكفارة، وصار البغاء المقدس في المعابد وقفاً على البغايا المقدسات

١- ثيوفراسط. كتاب الطبائع صـ٩٤، ١٣١

٢- س.م. بورا. التجربة اليونانية صـ ١٦٢

اللواتي كن يمارسن الجنس نيابة عن كل النساء"[1]. واحتمال أن يكون هذا الطقس (تقديم المرأة شعرها لمعبد أفروديت) مشهوراً في مدينة كورنثوس، احتمالاً قوياً، إذ كانت كورنثوس تشتهر بعبادة "أفروديت"... "[2].

اليوم وقد قطعت البشرية مسافة بعيدة عن تلك الطقوس الوثنية وثقافتها المتوطنة في كورنثوس القرن الأول، كيف نفهم الأمر الرسولي: "إذ الْمَرْأَةُ إنْ كَانَتْ لاَ تَتَغطَّى فَلْيُقَصّ شَعرُهَا. وَإنْ كَانَ قَبيحاً بِالْمَرْأَةِ أَنْ تُقَصَّ أَوْ تُحْلَقَ فَلْتَتَغَطَّ" (١١:٦)؟

رسول الصبر الكثير في الشدائد، والضيقات، والضربات، والسجون، والأتعاب، والأصوام، والطهارة، والعلم، وكلام الحق (٢كو٦:٤-٧)، غير متفرغ للحكم أو الاستقواء على النساء وشعرهن.

قَبَّح بولس قَصّ الشعر داخل هذا الإطار الوثني الأفروديتي تحديداً. قصد بولس ضبط عقل الكورنثيات الحديثات الإيمان من الالتباس والتشوش الوثني، وحسب. الرسول لا يتخذ موقفاً مضاداً للقص من عدمه، بل مضاداً للخطية والسقوط اللابس للقص الطقسي آنذاك، حيث كان يعرف جيداً العالم الذي يكرز فيه بالإنجيل. يعرف خطاياه الكامنة في عوائده وطقوسه. يعرف خزيه الذي يعتبره مجده. يعرف أن إلهه ليس هذه التماثيل أو الأوثان أو الهياكل فيأمر بهدمها، بل هدم وإزالة أوثان الطمع والزنا والنجاسة والقتل و... إلخ. يعرف أن إلهه لا يقيم ولا يسكن داخل هذه الأوثان والهياكل، إنما يسكن ويعشش داخل عقله وكل كيانه الفاسد وضميره السقيم.

يعلن بولس عن وثيقته لتحرير الكورنثيين والوثنيين من ضمير الأوثان، في نفس الرسالة: "نَعْلَمُ أَنْ لَيْسَ وَثَنٌ فِي الْعَالَمِ، وَأَنْ لَيْسَ إلهٌ آخَرُ إلاَّ

١- فراس السواح. لغز عشتار صـ ١٩١-١٩٢

٢- دائرة المعرف الكتابية. الجزءالسادس صـ٤١٥- ٤١٩

وَاحدًا. لأَنَّهُ وَإِنْ وُجدَ مَا يُسَمَّى آلهَةً، سوَاءٌ كَانَ فِي السَّمَاء أَوْ عَلَى الأَرْض، كَمَا يُوجَدُ آلهَةٌ كَثيرُونَ وَأَرْبَابٌ كَثيرُونَ. لَكنْ لَنَا إِلَهٌ وَاحدٌ: الآبُ الَّذي منْهُ جَميعُ الأَشْيَاء، وَنَحْنُ لَهُ. وَرَبٌّ وَاحدٌ: يَسُوعُ الْمَسيحُ، الَّذي به جَميعُ الأَشْيَاء، وَنَحْنُ به" (٨: ٤-٦).

اليوم وقد تلاشت مدلولات هذه العوائد والطقوس الوثنية التي صارعها بولس بقوة كرازته، فلا محل لنواهي ومحاذير القص من عدمه اليوم. فالإنسان بعد معرفته وتمجيده الله الحي الحقيقي، ينطلق حُراً مُبدعاً فهيماً طاهراً مسالماً محباً.

ج : تصفيف المرأة شعرها وتغطية رأسها أو كشفها في الحياة اليومية كما شاهده الرسول بولس في زمانه[١].

في المجتمع اليهودي الذي عاش فيه يسوع وبولس كان على المرأة "أن تغطي شعرها حين تخرج من دارها"[٢]. إلا أن تغطية العبرانيات وجوههن لم يكن عادة إجتماعية شائعة[٣].

وكانت "النساء الرومانيات في عهد الإمبراطورية الأول... يمشطن شعرهن ويعقدنه خلف العنق، وكن في الغالب يغطينه بالشباك، ويربطنه بشريط فوق الرأس. تطلبت الأزياء المستحدثة بعدئذ تنظيماً جديداً للشعر أرقى من هذا التنظيم القديم، فكان يُرفع أحياناً فوق أسلاك معدنية، وتضاف إليه غدائر مستعارة شقراء اللون مأخوذة من شعر الفتيات الألمانيات"[٤].

١- راجع: الباب الثالث. الفصل الأول: احتمال تفسيري أول.

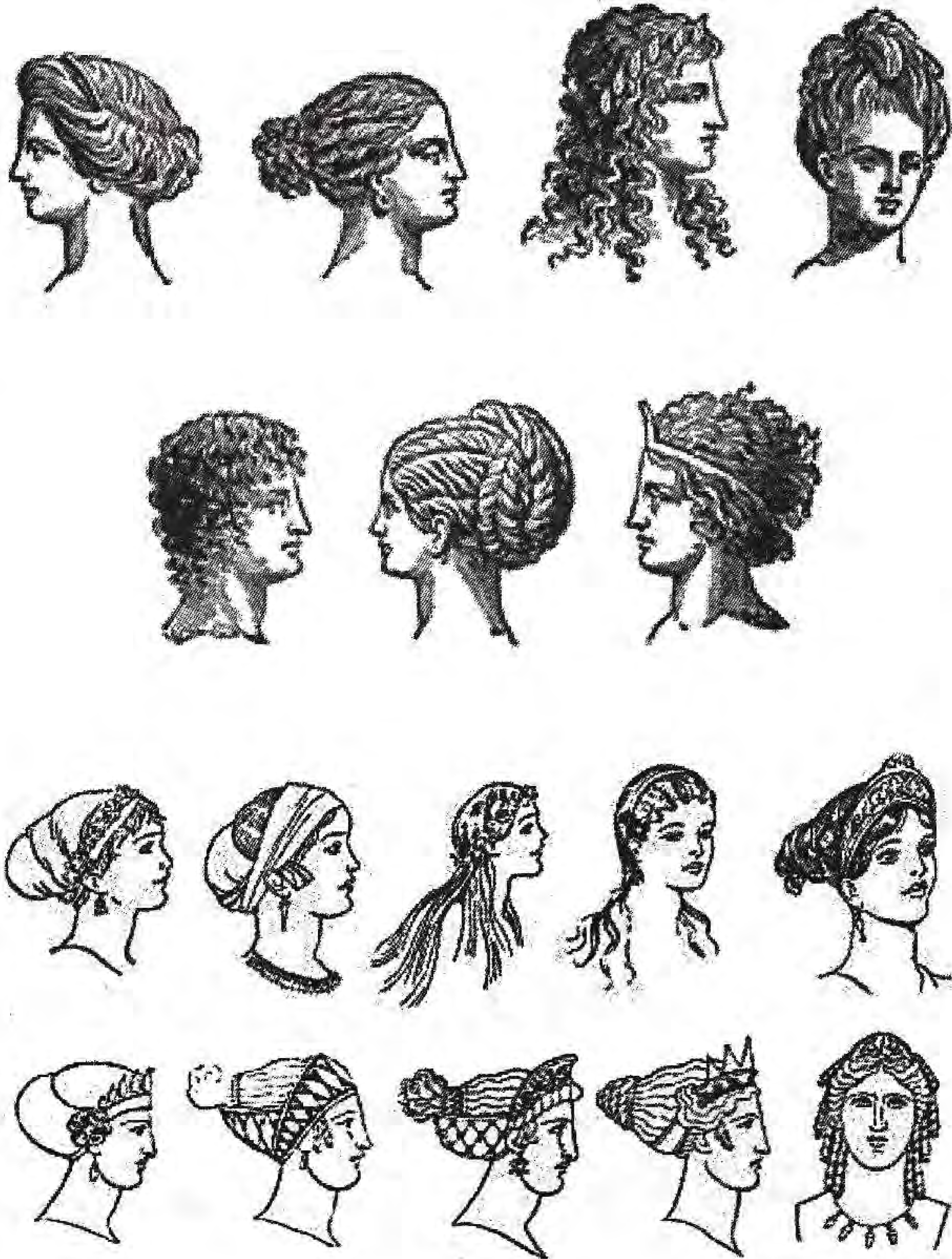
٢-الأب سامي حلاق اليسوعي. مجتمع يسوع تقاليده وعاداته صـــ٥٩-٦٠

٣- عن: دائرة المعارف الكتابية. الجزء الثاني صـــ ١٣٩ (بتصرف).

٤- ول ديورانت. قصة الحضارة (١٠) صـــ ٣٢٢

و"يذكر بلوتارك أن النساء الشريفات اليونانيات والرومانيات كُن يغطين وجوههن بالبراقع في المجتمعات العامة"(١).

من كل هذه التنويعات النسائية، قبلت كنيسة كورنثوس عضوات مستجدات، فبدت كنيستهم المبتدئة فاقدة للإنسجام والتجانس، حتى أن الهدوء، لم يجد مستقراً له في اجتماعاتهم. الأمر الذي ألجأ الرسول بولس لتدبير الكنيسة بتعليمات حازمة وتعاليم قوية تعيد للعبادة وقارها وروحانيتها.



[رسوم لتسريحات شعر المرأة في اليونان القديمة]

١- عن: دائرة المعارف الكتابية. الجزء الثاني صـ ١٣٩

ثالثاً: الشَعْر من التراث الإنساني والعهد القديم والعهد الجديد إلى الليتورجيا قص الشَعْر في المعمودية والرسامات والتكريس

في معمودية الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية "يبدأ قص الشعر الذي يلي المعمودية بصلاة مهيبة تلخص معنى السر، وتظهر أنه يستعيد الإنسان بوصفه أكمل خلائق الله وأجملها. فكأن الكنيسة، بعد أن أتمت عمل الإستعادة هذا تنظر إلى الإنسان وتصرخ بفرح وابتهاج: ما أجمله!

أيها السيد الرب إلهنا، يا من كرّمت الإنسان بصورتك وأتقنته من نفس ناطقة، وجسد بهي الجمال... ووضعت الرأس أعلى البدن وركزت فيه أكثر الحواس... وحصنت هامته بالشعر... وغرست فيه جميع الأعضاء لمنافع حميدة، ليشكرك بها كلها أيها المهندس الأعظم"[١].

في الطقس القبطي وفي بدء قسمة الأغنسطس يأخذ الأب الأسقف مقصاً ويعمل خمسة صلبان واحد وسط الرأس وأربعة في جوانبها[٢].

وفي صلاة على المدعو للرهبنة يقال لأجله: "لكي من قِبلْ قص شعر رأسه يطرح عنه الأعمال الردية، ويقبل معونة نعمة الروح القدس"[٣].

"هكذا تبدأ الحياة الجديدة بتضحية إلى الله، أي تسليمه بفرح وعرفان ذلك الشعر الذي صار في هذا العالم رمزاً للجمال الساقط... إنها أول تضحية حرة ومبهجة يقدمها الإنسان من نفسه إلى الله"[٤].

١- الأب ألكسندر شيمن. بالماء والروح صـ ١٨٦- ١٨٧

٢- ترتيب قسمة الكهنوت صـ ١٣

٣- طقس سيامة الراهب الجديد صـ ١١

٤- الأب ألكسندر شيمن. بالماء والروح ١٩٨٨ صـ ١٨٧

هذا هو معنى قص الشعر في رتب المعمودية والتكريس، واللسان الجديد الذي نطقت به الكثير من الرموز والعلامات والطقوس الإنسانية، في الليتورجيا، بعد أن فتح الروح القدس أفواهها. فالروح لم يأت ليُجَهِّلها أو يتجاهلها، بل رفّ عليها ليحول ظلمتها وخرابها وفراغها، إلى استنارة وبنيان وامتلاء الكنيسة المقدسة.

في أسرار سَكيب الطيب على يسوع

تهيأ لنا الآن، على خلفية ما توفر لدينا من معرفة وإدراك برمزية وطقوس الرأس والشَعْر، كما يشعر بها ويفهمها ويمارسها تلقائياً إنسان تلك الأيام القديمة، التعمق في وقائع سكب أكثر من إمرأة طيباً، فوق رأس يسوع وعلى قدميه:

أخبرنا متى الإنجيلي (٢٦:٦-١٣). ومرقس الإنجيلي (١٤:٣-٩) أن إمرأةً أفاضت الطيب على رأس يسوع في بيت سمعان الأبرص.

ولأن الرأس باعتبارها - تقليدياً - "المركز الرئيسي للقوة، وفيها تسكن قوة الحياة، كما تشير إلى العقل والسيادة والحكمة والروح... وتظهر كالمركز في الإحتفالات وطقوس التكريم وغير التكريم، فتاج المُلك والعظمة والجلال المنتظر، كلها توضع على الرأس"[١]. فقد كان التكريم بدهن رأس الضيف بالزيت هو إحدى عادات الشرق القديم التي يستوعبها ويمارسها بكل تلقائية ووعي (مز٢٣:٥؛ ١٣٣:٢؛ لو٧:٤٦). هذا ما أقدمت عليه هذه المرأة، بجرأة قلب غيور جَرَحهُ جحد أُمتها، لذاك المستحق "أَنْ يَأْخُذَ الْقُدْرَةَ وَالْغِنَى وَالْحِكْمَةَ وَالْقُوَّةَ وَالْكَرَامَةَ وَالْمَجْدَ وَالْبَرَكَةَ" (رؤ٥:١٢). فمجّدته جهاراً قدام الناس: "لك المجد والكرامة

١- الرمزية في الفن المسيحي صـــ ١٠٥

والشكر... أيها الاسم المملوء مجداً. أيها الاسم المملوء بركة... ياربي يسوع المسيح مخلصي الصالح"[1].

كشف المسيح عن أن ما فعلته هذه المرأة، قد فاق عمل التكريم إلى رتبة النبوة والكرازة والتبشير بموته وتكفينه ودفنه القريب، كما أيضاً في عمل مريم أخت لعازر (يو١٢: ١-٨).

ثم أخبرنا لوقا الإنجيلي (٧: ٣٦-٥٠) أن امْرَأَة "فِي الْمَدِينَة كَانَتْ خَاطِئَةً، إِذْ عَلِمَتْ أَنَّهُ مُتَّكِئٌ فِي بَيْتِ الْفَرِّيسِيِّ (سمْعَان)، جَاءَتْ بِقَارُورَة طِيبٍ وَوَقَفَتْ عِنْدَ قَدَمَيْه مِنْ وَرَائه بَاكِيَةً، وَابْتَدَأَتْ تَبُلُّ قَدَمَيْه بِالدُّمُوعِ، وَكَانَتْ تَمْسَحُهُمَا بِشَعْرِ رَأْسِهَا، وَتُقَبِّلُ قَدَمَيْه وَتَدْهَنُهُمَا بِالطِّيبِ".

كما أخبرنا يوحنا الإنجيلي (١٢: ١-٨) أن مريم أخت لعازر قد "دَهَنَتْ قَدَمَيْ يَسُوعَ، وَمَسَحَتْ قَدَمَيْه بِشَعْرِهَا"، في العشاء الاحتفالي بإقامة أخيها، قبل الفصح بستة أيام.

أحنت المرأة (مريم، والمرأة الخاطئة) رأسها تحت قدمي يسوع، فأحنت حياتها له بخضوع وتكريم. فالقدم أسفل عضو في الجسم، وهي مبدأ الحركة والمشي، وترمز وتشير بوضوح لمسيرة وطريق صاحبها. وغسل أو تقبيل قدم شخص بإرادة حُرة وحب، يعني الخضوع التام له، والعزم على المسير معه في مسيرته ومصيره، وتعطيل المسيرة الذاتية الماضية. فما بالك لو جرى غسل القدمين لا بالماء – كما جرت العادة الاجتماعية للضيوف القادمين إلى مُضيفيهم (لو٧: ٤٤) – بل بالطيب، وليس بالطيب فقط بل بدموعها. ثم إزالة هذه الدموع – التي تعتبرها غير طاهرة حتى تبتل بها قدمي يسوع – بالطيب، وتجفيف قدميه بمنشفة مجدها التي هي شَعْر رأسها؟!

وقد جاء هذا الفعل الاحتفالي التلقائي من مريم، كتعبير علني عن

١- من ابصالية الأحد. كتاب التسبحة السنوية. (قابل أيضاً تسبحة البصخة: لك القوة والمجد والبركة... إلخ).

الشكر، ودعوة للحاضرين لتمجيد وتكريم من أقام أخاها من غرق الموت وأخرجه من القبر. مثلما أخذت مريم أخت هارون في القديم "الدُّفَّ بِيَدِهَا" (خر١٥: ٢٠)، داعية خورس التسبيح للترنيم معها: "فلنسبح الرب لأنه بالمجد قد تمجد"[١]. إثر الخروج المعجزي لشعبها من العبودية والموت.

أما المرأة الخاطئة، فقد جاء عملها بمثابة؛ إعلان توبتها قدام من يرثي لضعفها ويشفيها ويشفع فيها، واعتراف منها والتزام علني أمام الجميع بأنها كفّت عن ماضيها، وأنها لن تكون إمرأة تحت الطلب الدنس، من ذلك الوقت.

أما سِمْعَان المضيف الحاكم بالشريعة فقد رأى أن تلك المرأة نجسة تنقل نجاستها كعدوى مؤذية إلى جسد يسوع. أما هي فرأت بإحساسٍ واعٍ أن حياته المقدسة هي التي ستنتقل إليها وتطهِّرها من نجاستها، مثلما "تضيء الشمس في الأماكن ذات الرائحة الرديئة، حيث يوجد الوحل والقاذورات، دون أن تصاب الشمس بأي أذى أو نجاسة"[٢]. كانت المرأة تدفن حياتها المائتة في جسده، وتستقبل حياته، من خلال استرداد سكيب هذا الطيب النازل من جسده إلى شعرها "مكان قوة الحياة"[٣] بحسب إيمانها. فكأنما غمرت بنار شوقها نفسها في جُرن معموديته، خالعةً فيه عتيقها الفاسد لتلبس الجديد الفاخر. فسبقت ومجّدته وجدانياً وروحياً وعملياً بما مجّدته الكنيسة بعدها: "هو أخذ الذي (لِّي) لنا . و(أعطاني) أعطانا الذي له . (أُسبحه) نسبحه و(أُمجده) نمجده و(أُزيده) نزيده علواً"[٤].

إن شعر المرأة "هُوَ مَجْدٌ لَهَا" (١كو١٥:١١). وفي ثقافتها "أن الشعر

---

١ – مديح على الهوس الأول. كتاب التسبحة السنوية.

٢ – القديس مقاريوس الكبير. العظة ١٦:٤

٣ – الرمزية في الفن المسيحي صــ ١١٢

٤ – من ثيؤطوكية يوم الجمعة. كتاب التسبحة السنوية.

المنسدل يمثل الحرية"[١]. فكانت العذراء أو غير المتزوجة تترك شعرها مسترسلاً، بعكس المتزوجة فهي تربطه وتغطيه عند خروجها من منزلها، بحسب تعاليم التلمود اليهودي آنذاك[٢]. فإن هذه المرأة بعملها هذا، قد أهرقت مجدها تحت قدميه، وقيدت حريتها بمسيرته عازمة أن تتبع خطواته من كل قلبها، وهي تتضرع إليه: "حِل عني رباطات الخطية. ياربي يسوع أعني"[٣]. فانحلت عنها رباطات خطاياها، مستأثرة فكر رأسها لطاعة المسيح.

إن مزج رمزية مسح القدم بشعر الرأس معاً عند المرأة في الشرق القديم، يرقى بتعبيرها عن مشاعرها ووجدانها ورغبتها، إلى ذروة الوضوح والقوة التي لا تقوي عليها حروف اللغة أو يحويها منطوق الكلام، لو تجرّد مِن أو ترفَّع عَن هذه الطقسيات، أوالحركات البسيطة التلقائية، المترابطة والمعبرة، والزاخرة بمدلولات ومعاني قوية ومشاعر عميقة.

ونلاحظ أن يسوع لم يعترض أو يحتقر هذه الطقسيات (أوالحركات أو الرموز) ولا من قام بها، كما لم يوصِ أيضاً باتباعها شكلياً فيما بعد. إذ أنه ينتظر وينظر ويقبل أولاً، ما في قلبِ كل إنسان من محبة وتوبة خالصة. وهو ما يضفي على أي رمز أو حركة، قيمةً غالية كثيرة الثمن قدام الله، حتى لو قُدرت لا بثلاثمائة دينار بل بفلسين فقط.

فالمجد والكرامة والشكر والتسبيح لمتواضع القلب وملجأ الخطاة. إلى الأبد، آمين.

١- المرجع السابق صـ ٨٧

٢ - الحياة اليهودية بحسب التلمود. القمص روفائيل البرموسي صـ ٥٩-٦٠

٣ - من ابصالية يوم الأحد. كتاب التسبحة السنوية.

الفصل الخامس

الغطاء

في التراث الإنساني والكتابي والليتورجي

يستجمع أشعياء النبي من مشاهد وخبرات تتعلق بعلامة هامة لقيادة وحماية الله شعبه فيقول: "يَخْلُقُ الرَّبُّ عَلَى كُلِّ مَكَانٍ مِنْ جَبَلِ صِهْيَوْنَ وَعَلَى مَحْفَلِهَا سَحَابَةً نَهَارًا، وَدُخَانًا وَلَمَعَانَ نَارٍ مُلْتَهِبَةٍ لَيْلاً، لأَنَّ عَلَى كُلِّ مَجْدٍ غِطَاءً. وَتَكُونُ مِظَلَّةٌ لِلْفَيْءِ نَهَارًا مِنَ الْحَرِّ، وَلِمَلْجَأٍ وَلِمَخْبَأٍ مِنَ السَّيْلِ وَمِنَ الْمَطَرِ" (أش٤: ٥-٦).

و"لأَنَّ عَلَى كُلِّ مَجْدٍ غِطَاءً" (أش٤: ٥)، فقد كانت الغمامة أو السحابة علامة للمجد الإلهي في العهد القديم، حضور المجد الإلهي وخفائيته بآن واحد. فهي تُظهر تسامي مجد الله، وإظهار الله هذا المجد للبشر أيضاً، بل ودعوتهم للدخول إليه. ففي جبل سيناء: "صَعِدَ مُوسَى إِلَى الْجَبَلِ، فَغَطَّى السَّحَابُ الْجَبَلَ، وَحَلَّ مَجْدُ الرَّبِّ عَلَى جَبَلِ سِينَاءَ، وَغَطَّاهُ السَّحَابُ سِتَّةَ أَيَّامٍ. وَفِي الْيَوْمِ السَّابعِ دُعِيَ مُوسَى مِنْ وَسَطِ السَّحَابِ" (خر٢٤: ١٥-١٦)؛ وفي خيمة الاجتماع: "غَطَّتِ السَّحَابَةُ خَيْمَةَ الاجْتِمَاعِ وَمَلأَ بَهَاءُ الرَّبِّ الْمَسْكَنَ. فَلَمْ يَقْدِرْ مُوسَى أَنْ يَدْخُلَ خَيْمَةَ الاجْتِمَاعِ، لأَنَّ السَّحَابَةَ حَلَّتْ عَلَيْهَا وَبَهَاءُ الرَّبِّ مَلأَ الْمَسْكَنَ" (خر٤٠: ٣٤-٣٥)[1]؛ وفي تدشين الهيكل الذي بناه سليمان: "كَانَ لَمَّا خَرَجَ الْكَهَنَةُ مِنَ الْقُدْسِ أَنَّ السَّحَابَ مَلأَ بَيْتَ الرَّبِّ، وَلَمْ يَسْتَطِعِ الْكَهَنَةُ أَنْ يَقِفُوا لِلْخِدْمَةِ بِسَبَبِ السَّحَابِ، لأَنَّ مَجْدَ الرَّبِّ مَلأَ بَيْتَ الرَّبِّ" (١مل٨: ١٠-١١).

١- يُقرأ في طقس الميرون المقدس والغاليلاون.

وفي صلوات تقديس الميرون[1]، الذي تُمسح به أجساد المعَمّدين والكنائس والأيقونات وأواني المذبح المقدس، يقرأ (خروج٣٩:٤٣-٤٠:١-٣٨). عن تغطية السحاب للمكان أو الهيكل المقدس الذي يحل عليه مجد الرب. وبما أن المعَمّد والممسوح بالميرون قد صار هيكلاً للروح القدس، بحسب تعليم الكتاب المقدس: "فَإِنَّكُمْ أَنْتُمْ هَيْكَلُ اللهِ الْحَيِّ، كَمَا قَالَ اللهُ: إِنِّي سَأَسْكُنُ فِيهِمْ وَأَسِيرُ بَيْنَهُمْ، وَأَكُونُ لَهُمْ إِلهًا، وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْبًا" (٢كو٦:١٦)، "أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ هَيْكَلُ اللهِ، وَرُوحُ اللهِ يَسْكُنُ فِيكُمْ؟" (١كو٣:١٦). وقد سبق وسبح المزمور بهذا: "بَنُونَا مِثْلَ الْغُرُوسِ النَّامِيَةِ فِي شَبِيبَتِهَا. بَنَاتُنَا كَأَعْمِدَةِ الزَّوَايَا مَنْحُوتَاتٍ حَسَبَ بِنَاءِ هَيْكَلٍ" (مز١٤٤:١٢). فالكنيسة حينما تصلي فإن مجد الله الأكمل والأعظم يغطيها، فلا تستطيع الكنيسة العروس، أن تصلي إلى الله وهي غير مغطاة بالغطاء الروحاني الذي هو مسحة الروح القدس.

نعرض الآن بعض النماذج والأمثلة من الأغطية البيضاء والأكاليل التي توضع على الرأس، في الطقوس الكنسية:

أولاً: غطاء رأس الموعوظين المقبلين إلى المعمودية (المستنيرين) والمعَمّدين حديثاً.

في المعمودية التي اعتمدنا بها صلي الأب الكاهن لأجلنا: "لكي الذين يتعمدون فيه يخلعون الإنسان العتيق الذي يفسد كشهوات الضلالة، ويلبسون الإنسان الجديد الذي يتجدد مرة أخرى كصورة خالقه"[2].

ويقول الأب الكاهن وهو يدهن المقبلين إلى المعمودية بالغاليلاون: "لباس النور، الغطاء الروحاني، الدهن الملوكي"[3]. وفي صلاة تكريس

١- طقس الميرون المقدس والغاليلاون صـ ١٠-١١

٢-كتاب المعمودية المقدسة. قبطي عربي صـ ١٠٦-١٠٧

٣- طقس الميرون المقدس والغاليلاون صـ ٢٧

الميرون الذي يدهن به المعتمدون بعد خروجهم من المعمودية: "من أجل هذا الميرون المقدس زيت التهليل لباس النور الغطاء الروحاني الدهن الملوكي"[1].

ويعبّر عن لِبس هذا الثوب الروحاني السري، الذي هو الرب يسوع، إلباس المتعَمّد حديثاً ثوب المعمودية الأبيض، وعند ذلك يقول الأب الكاهن: "لباس الحياة الأبدية غير الفاسدة. آمين"[2]. وبعد أن يُلبَس المتعمدون بقية ثيابهم، وعلى نغمات الفرح يوضع "الإكليل على رأس المعَمّد حديثاً، كما تشهد بذلك كتابات القديس كيرلس الأورشليمي"[3] أيضاً، وهو يقول صلاة على الأكاليل:

> "أيها الرب الاله ضابط الكل أبو ربنا ومخلصنا يسوع المسيح، الذي كلل رسله القديسين الأطهار و أنبياءه وشهداءه الذين أرضوه بأكاليل غير مضمحلة. أنت الآن أيضا بارك هذه الأكاليل التي هيأناها لنلبسها لعبيدك الذين اتحدوا بالعماد المقدس، لكي تكون لهم أكاليل مجد وكرامه. آمين. أكاليل بركة ومجد. أميــن أكاليل فضيلة وبر .أمين .أكاليل حكمة وفهم. آمين. قوهم لكي يكملوا وصاياك وأوامرك ويفوزوا بخيرات ملكوت السموات، بالمسيح يسوع ربنا، هذا الذي من قبله المجد... الـــــخ"[4].

ثم يشد وسط كل واحد منهم بزنار مثال الصليب ويضع الأكاليل على رؤوسهم، ثم يناولهم من الأسرار المقدسة. ويكشف القديس مقاريوس أسرار ودلالات هذه الطقوس في قوله: "لأن مجيء الرب كان كله لأجل

١- المرجع السابق صـــ ١٩، ٢١

٢- كتاب المعمودية المقدسة. قبطي عربي صـــ ١٢٧

٣-معجم المصطلحات الكنسية. الجزء الأول صـــ ١٢٠

٤- المرجع السابق صـــ ١٢٩-١٣١

الإنسان... لكي يقيم الإنسان ويحييه في هذه الحياة الحاضرة ويطهره من كل سواد وظلمة، وينيره بنوره الخاص، ويلبسه ثوبه الخاص، أي الثوب السماوي"[١].

نقتبس هنا من ثيودورُس بعض مما رآه مرأى العين من طقوس المعمودية في أيامه، فيفسر للمعَمّد أو المعَمّدين حديثاً معاني الطقوس المشاركين فيها كما يلي:

"يقف عرّابك[٢] وراءك ويبسط بطرشيل[٣] كتّان على رأسك، ثم ينهضك ويوقفك نصباً"[٤].

"وعندما ينهضك من ركوعك، يتبين أنك تركت السقطة القديمة وأنه لم يعد لك شركة مع الأرض والأمور الأرضية"[٥].

"لأن الكتان المبسوط على رأسك يدل على حالة الحرية التي دُعيتَ إليها بعد الآن. أجل إنك تقف أولاً عارياً. فهذه هي وقفة الأسرى والعبيد. أما بعد أن قبلت الوسم، فتبسط على رأسك بطرشيلاً من كتّان هو علامة للحالة الحرة التي دعيت إليها. فالأحرار اعتادوا أن يبسطوا على رؤوسهم «بطرشيل» الكتّان في البيت كما في السوق"[٦].

١- القديس مقاريوس. العظة ٢:٣٤

٢- "وهو القيم أو الحارس أو الوصي... أي الإشبين من السريانية وتعني القريب. إصطلاح كنسي يُطلق على الشخص الذي تعهد إليه الكنيسة برعاية المعمد الجديد رعاية روحية". عن: معجم المصطلحات الكنسية. الجزء الأول صـــ ٩٥

٣- "البطرشيل من اليونانية بمعنى عنق وهو رداء يعلق في العنق بفتحة في أعلاه، ويتدلى بعرض الصدر ومن الأمام حتى القدمين... وهو يسمى حالياً الصدرة... أما بطرشيل الشماس الآن فهو وشاح من الحرير، ضيق وطويل يتشح به الشماس". عن: معجم المصطلحات الكنسية. الجزء الأول صـــ ١٩٣-١٩٥

٤- ثيودورُس. العظات التعليمية. العظة ١٣ صـــ ٢٠١

٥- المرجع السابق. العظة ١٩:١٣ صـــ ٢١٤

٦- المرجع السابق. العظة ١٩:١٣ صـــ ٢١٤

ثم يُفسر لهم معنى ارتداء الثياب البيضاء بما يلي: "ولكن ما أن تصعد من هنا حتى ترتدي لباساً كله لماعاً. إنه علامة هذا العالم اللماع والمشرق، رمز السيرة والسلوك اللذين انتقلت إليهما بالرموز. فحين تقبل بالفعل القيامة وترتدي اللاموت واللافساد، لن تحتاج بعد إلى هذا الرداء"[١].

وعلى نغمات الفرح يوضع "الإكليل على رأس المعمد حديثاً، كما تشهد بذلك كتابات القديس كيرلس الأورشليمي"[٢]، وصلوات طقس المعمودية في الكنيسة القبطية، حيث تذكر:

"أيهاالرب الاله ضابط الكل أبو ربنا ومخلصنا يسوع المسيح، الذي كلل رسله القديسين الأطهار و أنبياءه وشهداءه اللذين أرضوه بأكليل غير مضمحلة. أنت الآن أيضا بارك هذه الأكاليل التي هيأناها لنُلبسها لعبيدك اللذين اتحدوا بالعماد المقدس، لكي تكون لهم أكاليل مجد وكرامه. آمين. أكاليل بركة ومجد. أميــــن أكاليل فضيلة وبر .أمين. أكاليل حكمة وفهم. آمين. قوهم لكي يكملوا وصاياك وأوامرك ويفوزوا بخيرات ملكوت السموات، بالمسيح يسوع ربنا، هذا الذي من قبله المجد....الــــــخ"[٣].

ثانياً: غطاء التقدمة وغطاء رأس الكاهن ويديه أثناء خدمة القداس.

هناك إشارات في كتب الطقوس أنه في ترتيب رفع بخور باكر وعشية "يكشف الكاهن رأسه"[٤]. والذي يتناول من الرجال "يتناول وهو

١- المرجع السابق. العظة ١٤ :٢٦ صـــ ٢٣٦

٢- معجم المصطلحات الكنسية. الجزء الأول صـــ ١٢٠

٣- كتاب المعمودية المقدسة. قبطي عربي صـــ ١٣١-١٣٢

٤- الترتيب الطقسي للأنبا غبريال الخامس صـــ ٤٧. أنظر: القانون الثاني من قوانين البابا خريستوذولوس البابا ٦٦ (١٠٤٧-١٠٧٧م) في كتاب: قوانين بطاركة الكنيسة القبطية في العصور الوسطى صـــ ٣٥

مكشوف الرأس"، وفي عودة الكاهن بالصينية من مناولة النساء «يكشف الجميع (الرجال) رؤوسهم ويخضعوا للرب ويشكروه ويمجدوه" [١].

وعندما تبتدئ خدمة القداس يرتدي الأب الكاهن ثوباً أبيض. وبعد صلاة الصُلح يغطي يديه بلفائف بيضاء. كذلك تغطي رؤوس رتب الكهنوت عدة أنواع من الأغطية تتنوع ما بين زمان ومكان. من بينها ننتقي الشملة نموذجاً بإعتبارها أبسط أغطية الرأس. وهي "قطعة من القماش الأبيض يرتديها الكهنة فوق رؤوسهم وتدلى على كتف الكاهن... وكانت مستعملة منذ العصور الأولى بدليل أن القديس ايرونيموس ذكر في إحدى مقالاته أنها كانت مستعملة في أيامه"[٢].

فماذا تعني الثياب البيضاء الكهنوتية؟

بما أن "الكاهن هو مثال نعمة المسيح"[٣]، وبآن واحد، مثال شعب المسيح الذي يستقبل عطاياه في القداس، فهو يغطي رأسه وجسده ويديه بثياب بيضاء. فمن جهة المسيح: الثياب البيضاء هي علامة على المسيح

"عند دخول مكان أو منزل مقدس... وعند عبور عتبة فإن إزاحة غطاء الرأس جزء من الرمزية الطقسية للعتبة في المرور من العالم الدنيوي إلى العالم المقدس" (عن: ج كوبر. الرمزية في الفن المسيحي صـ ١١٧). كانت العمائم ضمن الأزياء المدنية الهامة للرجل المصري في هذه العصور الوسطى، بل والدالة بألوانها، وزخرفتها أحياناً على عِظَم مكانته الاجتماعية. أو على ديانته [عمائم الأقباط سوداء في أيام السلطان العثماني مراد الثالث. ق١٦م (السنكسار ٣ نسيء) أصر الأنبا برسوم العريان ألا يستبدل عمامته البيضاء (السنكسار ٥ نسيء) فما دلالة هذا كله في عالم اليوم؟]. تنطبق هذه الإشارات الطقسية (كشف الرأس) استناداً لما ورد في نص الرسالة الأولى إلى كورنثوس المعني بالدراسة: "كُلُّ رَجُلٍ يُصَلِّي أَوْ يَتَنَبَّأُ وَلَهُ عَلَى رَأْسِهِ شَيْءٌ يَشِينُ رَأْسَهُ" (١١:٤) على هذه العمائم وعلى تحوراتها اللاحقة الباقية.

١- الترتيب الطقسي للأنبا غبريال الخامس صـ ٨٨. وعنه نَقل كتاب الخولاجي المقدس المطبوع سنة ١٩٠٢ صـ ٤١٨

٢- رسالة مارمينا في الدراسات القبطية. الرسالة الحادية عشرة ١٩٨٦ صـ ١١٢ (بتصرف) للمزيد أنظر: ألفريد. ج بتلر. الكنائس القبطية القديمة في مصر. الجزء الثاني صـ ٩٨ وأيضاً أنظر: معجم المصطلحات الكنسية صـ ١٩٧

٣- القديس مقاريوس الكبير. العظة ٨:٥٢ مرقس. سبتمبر ١٩٩٤ صـ ١٧

الكائن معنا الآن على المائدة بلاهوته وبكهنوته معاً، لكي يقدس جسده (وهو الذي تجلى على الجبل المقدس وفي رؤيا يوحنا بثياب بيضاء إشارة لعظمة لاهوته). ومن جهة الكنيسة التي تستقبل "نعمة المسيح": يدل ثوبه الأبيض على جِدّة الحياة وثياب البر التي تكتسي بها الكنيسة في خدمة القداس الإلهي. أما تغطية الكاهن رأسه بالأبيض هو علامة انسكاب النعمة وتغطية المجد السماوي طبيعتنا البشرية الجديدة "لأَنَّ عَلَى كُلِّ مَجْدٍ غِطَاءً" (أش٤:٥).

وماذا عن تغطية الكاهن يديه بلفائف بيضاء بعد صلاة الصُلح في القداس؟

هذه اللفائف التي يغطي بها الأب الكاهن يديه في القداس، يقول الأب الأسقف عنها في تكريس الأواني: "الآن أيها السيد محب البشر لتحل قوتك الإلهية على هذه الأواني والثياب التي يلفون بها جُرن جسدك المقدس. وأرسل عليهم قوة الثياب الملفوفة على جسدك المقدس في القبر ليكونوا متشبهين بالسمائيات"[١].

إن تغطية الأب الكاهن يديه بهذه اللفائف، التي يغطي بها جُرن الجسد (الصينية) والكأس. تشير إلى امتلاء يدي الكاهن المتضرعة إلى الله بالنعم السماوية للقيامة المفاضة في الكنيسة، بعد أن صولحنا مع الله بإبنه، وصولحنا معاً بالسلام والقُبلة الطاهرة الرسولية. إنها أيضاً علامة تكريس اليد لكي تحمل الخبز والكأس لرئيس الكهنة الأعظم ربنا يسوع المسيح لكي يبارك ويقدس ويعطي بنفسه. ثم توزع ذات اليدين على كل عضو في القداس ميراثه في جسد المسيح.

ولأن "العهد القديم يرشدنا إلى ما هو نافع بآلاف الطرق. لكن رغم

١- ترتيب قسمة الكهنوت صـ ١٤٦-١٤٧

ذلك فهي كلها تعتبر بدائية جداً بمقارنتها بسر المسيح"[١]. فقد سبق وصور رمزياً العهد القديم، ملء نعمة العهد الجديد هذه، فيما أمر الله به موسى "وَتَمْلأُ يَدَ هَارُونَ وَأَيْدِيَ بَنِيهِ" (خر٢٩:٩). حيث كانت تُملأ يد هارون الكاهن بأجزاء من ذبيحة و أنواع خبز (خر٢٩:٢٢-٢٥)، تعبيراً عن تكريس يده للرب وإعدادها لتحمل تقدماتهم إلى الرب، وتعود ببركة الرب على تقدماتهم وثمارهم وكل حياتهم. وفي هذا رنم يشوع بن سيراخ: "موسى هو الذي كَرَّس يَديَه ومَسَحَه بالزَّيت المُقَدَّس فصار ذلك عهداً أبديَّاً له ولذُرِّيته ما دامت السماء، ليخدِمَ للَّربَّ و يُمارس الكَهَنوت ويُبارِكَ الشَّعبَ بِاسمِه" (سيراخ٤٥:١٥).

إذاً حينما تصلي الكنيسة إلى الله، فإنها تصلي وهي مغطاة بالغطاء الروحاني أي مسحة الروح القدس. وهو ما تعبر عنه ثياب المعمودية، أو غطاء رأس المرأة، أو تغطية الكاهن يديه المرفوعتين إلى الله على المذبح بعد صلاة الصُلح، وأيضاً الشملة التي يغطي بها رأسه في القداس. إن نزع غطاء المحبة المنسدل من الثالوث على الكنيسة، هو العري الحقيقي الذي يشين المسيح رأسها. وتؤكد الصلاة الليتورجية هذا، فبعد صلاة الصلح في القداس الإلهي، يغطي الكاهن يديه ويرفعهما لله، مشيراً إلى أن السلام الذي ملأ الأرض بظهور الرب المحيي، والمحبة والمصالحة الحقيقية - لا الطقسية فحسب - هو الغطاء المقدس الذي يستر الكنيسة ولا يتركها عارية ولا يشين المسيح رأسها.

ثالثاً: غطاء رأس العروس.

لا تزال لطرحة العروس جمالها وبهاؤها ومكانتها الراسخة في أغلب طقوس الزواج على مستوى العالم قديماً وحديثاً، دون أن يتساءل الكثير

١-القديس كيرلس الكبير. السجود والعبادة بالروح والحق. المقالة الثامنة صـــ ٥٢

من مشاهديها أو واضعيها عن معناها أو أصلها أو سبب الحرص الشديد على ارتدائها في حفلة الزواج.

"التضحيات كانت غالباً ما تغطى وتكلل... ويشارك وشاح العروس وإكليلها في نفس الرمزية لهذه العادة، حيث أن العروس تضحي بحياتها الماضية المتوحدة وحريتها، وتبدأ الحالة الجديدة للإتحاد والربط بروابط جديدة... وفي احتفالات الزواج في بلاد كثيرة تعبر العروس إلى الحياة الجديدة كملكة تلبس تاجاً، وفي بلاد أخرى يكون مكان التاج إكليل الورد. وإكليل الزهور كان في العصور اليونانية والرومانية تاج زهور الفلورا إلهة الإزهار. وتاج عُرسها كان عادة من براعم الشجيرات... والوشاح (الطرحة) أيضاً حماية تخفي الرأس التي تعيش فيها قوة الحياة... وكل أغطية الرأس أو الأكاليل تخفي وتحمي الحياة الداخلية للرأس، وغطاء الوجه يمكن أن يصور السرية والمعرفة المختبئة وما هو غير مفحوص... ولون الوشاح الأبيض يرمز للبراءة والنقاء والبتولية وهو اللون العُرسي"[١].

ولعل أقدم إشارة عن طرحة العروس في العهد القديم، هو ما ورد فيه عن زواج إسحق ورفقة التي لما رأت عريسها إسحق أمامها "فَأَخَذَتِ الْبُرْقُعَ وَتَغَطَّتْ" (تك٢٤:٦٥). ولم تكن تغطية العبرانيات وجوههن، عادة إجتماعية شائعة[٢]. إلا أن تصرف رفقة كان بمثابة إشارة البدء في مراسم الزواج كتقليد أو طقس إجتماعي معروف في أيامها: وقد أُكسب هذا الطقس الإنساني العتيق معنى مسيحياً وتبنته بعض ليتورجيات الزواج حتى أنه يسمى في اللاتينية "رتبة إعطاء الغطاء"[٣]، حيث يضع الكاهن

١- ج. كوبر. الرمزية في الفن المسيحي صـ ٧٨-٧٩، ١٠٦

٢- عن: دائرة المعارف الكتابية. الجزء الثاني صـ ١٣٩ (بتصرف). راجع: الباب الثالث. الفصل الثالث.

٣- المونسنيور يوسف بشارة. الأسرار بين الرمز والحقيقة. الأسرار. سلسلة محاضرات صـ ٢٠٤

الغطاء على رأسي العروسين. وأيضاً جاء في ترتيب البابا غبريال الخامس أن الأب الكاهن "يغطي رأسيهما الاثنين بالنمط الأبيض"(١).

وعن المعنى الروحي للثياب الكنسية عامة، يقول القديس مقاريوس الكبير:

"هكذا أيضاً المسيحيون الذين حسبوا أهلاً منذ الآن في هذه الحياة أن يحصلوا على الثوب السماوي فإنهم يحملون ذلك الثوب ساكناً في داخل نفوسهم، وحينما تنحل هذه الخليقة الحاضرة بحسب تعيين الله وعلمه السابق وتزول السماء والأرض فإن ذلك الثوب السماوي الذي كان يكسو نفوسهم منذ الآن ويمجدها والذي يمتلكونه في داخل قلوبهم. هذا الثوب نفسه سوف يكسو ويمجد أيضاً أجسادهم العارية، التي تقوم من القبور، الأجساد التي تقوم في ذلك اليوم مكتسية بالموهبة السماوية غير المنظورة وذلك الثوب السماوي الذي يناله المسيحيون في هذه الحياة منذ الآن"(٢).

أبناء الآب الذين كللهم بالمجد والكرامة (عب٢:٧). ودعاهم بالإنجيل "لاقْتِنَاءِ مَجْدِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (٢تس٢:١٤). يرتدون كل هذه الثياب والأغطية البيضاء الكنسية في أسرار عمادهم وصلوات قداساتهم وزواجهم "لأَنَّ عَلَى كُلِّ مَجْدٍ غِطَاءً" (أش٤:٥). غطاء سماوي روحاني لا يُرى الآن، ولكنه سوف يُظهر عندما يظهر الرب يسوع بمجده في مجيئه الثاني.

١- الترتيب الطقسي للأنبا غبريال الخامس البطريرك صـ ٢٤ ("النمط أو اللمط: قطعة من القماش الحرير طولها ١٥٠×٤٠ مطرز بها صلبان وهي بمثابة وشاح يوضع على رأس العروسين. ويقول عنها القديس ايرونيموس أنها علامة النقاوة والعفاف" عن: محاضرة بعنوان الزواج. جمال هرمينا. أسبوع القبطيات الرابع ١٩٩٤م-١٧١١ش صـ ٩٣).

٢- العظة ٣٢:٢

الفصل السادس

غطاء رأس المرأة
كـ «علامة» في الصلاة

"العلامة Sign هي أي شيء ملموس يمثل شيئاً آخر ويستدعيه للذهن بوصفه بديلاً (أو دالاً) له"[١]. والعلامة في الليتورجيا على اختلاف أنواعها (شيء، كلمة، حركة، صوت، لحن...) توقظ فينا الإدراك وتسمو بنا من المحسوس المرئي إلى عالم اللامحسوس واللامرئي، كما جاء في هذه الجملة من صلاة السجدة: "من الأمثلة تهدينا للاستزادة في العاليات"[٢].

ولكي نفهم أي علامة، يجب علينا التساؤل عن العلاقة بين العلامة ومعناها أو دالتها؟ كيف نقرأ أو نفهم المعنى في علامته الملموسة؟

> "لفهم هذا الموضوع بشكل واضح نورد بعض الأمثلة عن علامات لا تحوي في ذاتها الحقيقة التي تشير إليها. إشارة المرور مثلاً، تشير إلى حقيقة معيّنة (ممنوع الوقوف، ممر مشاة، طريق خطر...إلخ) ولكنها لا تحمل في ذاتها الحقيقة التي تشير إليها، بل هي مجرد رمز من إبداع الإنسان الذي يتفق مع نظيره على معناه المحدد (على سبيل المثال لو كان الإنسان قد قرر أن الضوء الأحمر في إشارات المرور يعني السير والأخضر الوقوف، لما كانت هناك مشكلة، لأن اللون

١- د. السيد نصر الدين السيد. إطلالات على الزمن الآتي صـ ١١٣

٢- كتاب اللقان والسجدة صـ ٤٦

في حدِّ ذاته لا يحمل حقيقة معيّنة بل هو مجرّد رمز يُتّفق عليه لا أكثر!)"[1].

"فإذا أنا وضعت النجمة في أثناء كتابة هذه الصفحة، فإن القارئ يعرف بمقتضى الاتفاق السابق بين الناس، أني أريد أن ألفت نظره إلى شيء يقع خارج السير الطبيعي لنص الكتاب، إلى هامشية سفلية مثلاً. فكأن الرمز يمثل إذاً بياناً لفظياً أو أمراً مثل: "أنظر إلى أسفل الصفحة". وإذا أنا شاهدت صليباً فوق مبنى، عرفت على الفور أن المبنى له ارتباط بالديانة المسيحية، وهناك عدد ضخم من الانفعالات والصور والفكرات قد ذوبت في هذه العلامة المناسبة والاقتصادية. ومن المعلوم أن حقل الفنون ممتلئ بهذه الرموز ومنها ما يمثل صوراً أو مفاهيم لم نستطيع نحن تبينها، ولا نستطيع تبينها إلا باكتساب معرفة من نوع خاص"[2].

ويكمن غموض العلامة في أنها لا تبرح دائرتها الحسية إلى دائرة الإدراك، ما لم تُقرأ أو تُدرك دلالتها. وبالتالي تظل العلامة عاطلة عن الإشارة إلى المدلول اللاهوتي المقصود، وعليه يشوب الطقس — الذي تكون العلامة إحدى مفرداته - شيء من الابهام أو اللامعنى، فلا تتأثر به حياتنا.

العلامات أو الرموز شأنها شأن لغات البشر المتنوعة - ولا سيما ما يتصل مباشرة بالجسد - تراث إنساني وحضاري مخزون في الذاكرة الجماعية للشعوب، فلا يمكن نزعها هكذا فجأة من مُخيلة الإنسان الوافد إليه فكراً جديداً. إنتزاعها يعني فقدان جزء هام وحيوي من آليات التواصل

١- اقتباس من النت. الموسوعة المسيحية العربية.

٢- هربرت ريد. التربية عن طريق الفن صــ ١٧٧

والعلاقات الإنسانية والدينية، تجعل الإنسان يشعر بغربة فيما لو اعتنق الفكر الجديد الوافد. إن ذلك بمثابة قطعه عن جذوره اللغوية والحضارية والثقافية. وما جاءت المسيحية - وهي المؤسسة على اتحاد الإلهي بالإنساني لا على تنزيه الإلهي عن الإنساني - من أجل تقطيع الأوصال الإنسانية الحيوية، بل لتقطيع أوصال الخطية من مخيلة وذهن وثقافة الإنسان.

وقد عرف بولس الذي اكتشف ما في العهد القديم من مجد، واستوعب منه جيداً على الأخص، المعاني والإشارات التي يقرأها ويفهمها إنسان العهد القديم. كما اكتشف أيضاً الثقافة السائدة في محيط كرازته، وعرف كيف يفيد منها دون الوقوع في حرفية التقاليد التي لم تعد صالحة بالطبع لشعب العهد الجديد، سواء في عصر رسالة كورنثوس أو ما بعدها.

كذلك، عرف آباء الكنيسة وشعوبها الذين صاغوا الليتورجيات على مدى أجيالهم، كيف يفيدون من التراث الإنساني خلواً من سقطاته، ومن العهد القديم خلواً من حرفيته وبطريقة روحية لخدمة العهد الجديد، وجعلوا هذه العلامات والرموز – بإعتبارها لغة عالمية – تتكلم بألسنة جديدة مجيدة.

و"لأن الأمور المحسوسة هي صور للأمور العقلية"[١]. وأيضاً "لأن الأمور المنظورة هي مثال وظل الأمور الخفية... فإننا نأخذ كل الترتيبات والتنظيمات الظاهرة الخاصة بالكنيسة على أنها نموذج ومثال لما يجرى بالنعمة داخل النفس"[٢]. فالطقس المسيحي بكل العلامات التي يحتويها، يتجاوز ماديتها نحو رسالة إيمانية معينة، ويهدف في النهاية إلى إشباع عقل وحواس وكل حياة المشارك فيه، بالمجد الذي لا يعبر عنه.

فإن كان ثمة غطاء على الرأس، فوضوح معناه يرتبط بإكتمال دلالاته

١-القديس كيرلس الأسكندري. تعليقات لامعة (جلافيرا) الكتاب الشهري. أبريل ٢٠٠٨ صـــ ١٥

٢-القديس مقاريوس الكبير العظة ٨:٥٢ عن مرقس. سبتمبر ١٩٩٤ صـــ ١٧

كـــ "علامة". وأول دالٍ فيه هو اللون الأبيض، انسجاماً مع ما تم عرضه سابقاً من دلالات ومعانٍ الثياب الكنسية. أما الأهم فهو اكتساب الجميع الفهم والمعرفة الخاصة بجوهر هذه العلامة لفائدتهم وبنيانهم.

غطاء رأس المرأة هو "علامة" - كغيره من العلامات المتعددة في الكنيسة — مشحون بدلالات ورسائل ومعانٍ لاهوتية إنسانية جديدة، فهو لا يقبل التسوية أو التوفيقية مع ما يفتقر أو يجهل هذه المعاني. فإن تزيين غطاء أو منديل الرأس على أنه نقل للمرأة من العلن إلى الخفاء، كالجواهر الثمينة هو كلام عاطل بالنسبة لمنطق الإنجيل وطبيعة الصلاة والليتورجيا، وبعيد عن سياق النصّ الذي كتبه بولس بهذا الشأن في رسالته.

العين التي استنارت بنعمة الروح القدس هي وحدها القادرة أن تنفذ إلى ما لا يُرى، فترى مجداً متوارياً في كل علامة، ورمز، ولحن، وحركة، وسجود، وطقس، ومثال، وكلمة... في العبادة التي تقدمها الكنيسة لله "بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ" (يو٤:٢٣).

الفصل السابع

"احْكُمُوا فِي أَنْفُسِكُمْ: هَلْ يَلِيقُ بِالْمَرْأَةِ أَنْ تُصَلِّيَ إِلَى اللهِ وَهِيَ غَيْرُ مُغَطَّاةٍ ؟"

لكي نكون أمناء أكثر نحو تعاليم الرسول بولس، علينا أن نضبط الرغبة في الحصول على الأجوبة العاجلة: "نعم" أم "لا"؟. "يجوز" أم "لايجوز"؟... إلخ. لأن هذا النهج لا يتفق مع طبيعة التعليم الرسولي الذي يهدف إلى تَجْديد أَذْهَاننا، وتثقيف عقولنا بجمال "الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَ الآبِ وَأُظْهِرَتْ لَنَا". قد تنهى تلك الأجوبة عن أعمال لاتُوافق أو تَبْنِي، لكنها لا تمنح المتلقي أسرار وغنى وشَرِكَة وبركة التعليم الرسولي.

السؤال والبحث الأفضل هو عن: لماذا كتب الرسول بولس هذا النَصّ؟. وما معنى وتفسير ما كتبه؟. وماذا يعني لنا اليوم؟[1]. يقول القديس مقاريوس الكبير:

"تتعمق النفس المحبة للحق جذور الأشياء، فهي لا ترى

١- عن أهمية السؤال بـــ "لماذا": «يفرق الفلاسفة بين الأسئلة السببية why-questions والأسئلة الكيفية how-questions وتسمى الأسئلة من قبيل "لماذا The Why" ... بالأسئلة الأساسية جداً" (المعجم الفلسفي. عبد المنعم الحفني. صـــ ٢٩٢ -٢٩٣) حتى أنه "يعتقد مؤرخو الفكر الإنساني، أن العقل البشر نما – أو حتى قفز قفزة نوعية كبرى – حين اكتشف "فكرة" العلاقة بين حدثين، والربط الحتمي بينهما، بإظهار أحدهما سبباً للآخر، والثاني نتيجة "حتمية" تظهر أو تحدث حتماً كلما حدث الأول (السبب) أو ظهر" (مصطلحات فكرية. سامي خشبة صـــ ٣٢٦ causation - causality).

أن المسيحية هي فقط ما على السطح، وهي لا تقنع بالمظاهر الخارجية للترتيبات والعبادة، لكنها بقوة الروح القدس تجاهد لكي تفي بعهدها بأن تضع ثقتها في الإنسان الداخلي الذي هو المسيحية الحقيقية"[١].

ولأن "الذين هدت النعمة الإلهية حياتهم إلى النور يشعرون دائماً بوجود شعاع عقلي يتخلل الآيات المكتوبة ويضيء الذهن ويجعله يميز بدقة المعاني الأساسية الكبيرة عن الأقوال السطحية، تمييزاً روحياً شفافاً"[٢]، فقد أدرك القديس مقاريوس الكبير، عميق المعاني المقدسة، وميز المقصد الرسولي تمييزاً شفافاً، وأعلنه في إجابته عن سؤال: ما معنى أن المرأة لا تصلي إلا ورأسها مغطى؟ (١كو١١:٥) بقوله:

"في عصر الرسل كانت عادة النساء (عند الأمم) أن يتركن شعور رؤوسهن محلولة، كبرقع أو كغطاء، ولهذا لما جاء الرب ورسله إلى الناس علموهم الوقار والتعقل، بأن تغطي المرأة رأسها وقت الصلاة. كما أن المرأة، يقصد بها هنا أن تكون رمزاً للكنيسة. فبينما كانت النساء في تلك الأيام يرخين شعورهن بدلاً من البرقع، فان الكنيسة تكسو أولادها بملابس وأغطية إلهية مجيدة. وفي العهد القديم – في كنيسة إسرائيل – كانت الجماعة واحدة وكان الروح يغطي الخيمة بمجد، رغم إنهم هم أنفسهم لم يكونوا حسب الروح، أما الآن فان كلمة «كنيسة» تستعمل عن النفس بمفردها، كما تستعمل عن الجماعة، لأن النفس تجمع كل أفكارها وملكاتها، وتصير كنيسة لله. فالنفس جعلت وكونت

١- القديس مقاريوس الكبير. العظة ٥٢:٥ مرقس. سبتمبر ١٩٩٤ صـ ١٦

٢- إسحق السرياني. نسكيات. المقالة الأولى صـ ١٨

> لتليق لعِشرة العريس السماوي، وتكون لها شركة مع الإله السماوي، وهذا ينبغي أن يفهم عن النفس بمفردها كما على الكنيسة بجملتها. ولذلك يقول النبي عن أورشليم: وجدتك مطروحة وعارية وألبستك مطرزة (حز١٦: ٧-١٠)، هكذا يتكلم كأنه يخاطب شخصاً واحداً"[1].

توجه الرسول بولس بدعوة لقراء رسالته في شأن تغطية المرأة رأسها في الصلاة الليتورجية تحديداً، بقوله: "احْكُمُوا فِي أَنْفُسِكُمْ". وهذا الكتاب هو حُكم مبني على المعطيات الإنسانية والكتابية والليتورجية، وتعاليم الآباء. ولا تزال تلك الدعوة مفتوحة أيضاً للجميع: "احْكُمُوا فِي أَنْفُسِكُمْ"!.

يقيناً أنه متى إزدادت إستقامة القلب والحُكم، توفر الإحساس بالأشياء التي تُوافق والأشياء التي لا تُوافق، التي تحلّ والتي لا تحلّ، التي تَبْني والتي لا تَبْني (١كور٦: ١٢؛ ١٠: ٢٣). "فَالْمَسْحَةُ الَّتِي أَخَذْتُمُوهَا مِنْهُ ثَابِتَةٌ فِيكُمْ، وَلاَ حَاجَةَ بِكُمْ إِلَى أَنْ يُعَلِّمَكُمْ أَحَدٌ، بَلْ كَمَا تُعَلِّمُكُمْ هذِهِ الْمَسْحَةُ عَيْنُهَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَهِيَ حَقٌّ وَلَيْسَتْ كَذِبًا" (١يو٢: ٢٧).

بإفراز وتمييز، فَصَلَ باسْتِقَامَة، بولس الرسول برسالته إِلَى كَنَائِسِ غَلاَطِيَّةَ، في مطاوعة بعضهم تراضٍ توافقي مع اليهود، باطنه ومداه البعيد تهويد المسيحيين، يقبل بموجبه المسيحيون الأمميون فريضة ختان اليهود، كشرط للتسامح معهم، والمنّ عليهم بالأمان من الخوف، بفُتَات السلام السّاقط مِنْ مَائِدَهم كأَرْبَاب لهم. إذ رأى بولس في مطاوعتهم تلك "أَنَّهُمْ لاَ يَسْلُكُونَ بِاسْتِقَامَة حَسَبَ حَقِّ الإِنْجِيلِ" (غلا٢: ١٤). نذكر منها هذه الآيات، التي بها يُضبَط ويُفرَز أي فكر مطاوعة أو استعطاف أو استرضاء أو إذعانٍ ما، لا يتفق مع حَقّ الإِنْجِيلِ:

---

١ عظات القديس مقاريوس ١٢: ١٥

"هذهِ الْمُطَاوَعَةُ لَيْسَتْ مِنَ الَّذي دَعَاكُمْ.

خَميرَةٌ صَغيرَةٌ تُخَمِّرُ الْعَجينَ كُلَّهُ" (غلا٥:٨-٩).

"أَفَأَسْتَعْطِفُ الآنَ النَّاسَ أَمِ اللهَ؟ أَمْ أَطْلُبُ أَنْ أُرْضِيَ النَّاسَ؟

فَلَوْ كُنْتُ بَعْدُ أُرْضِي النَّاسَ، لَمْ أَكُنْ عَبْدًا لِلْمَسيحِ" (غلا١:١٠).

"لكِنْ لَمْ يَضْطَرَّ وَلاَ تِيطُسُ الَّذي كَانَ مَعي، وَهُوَ يُونَانِيٌّ، أَنْ يَخْتَتِنَ.
وَلكِنْ بِسَبَبِ الإِخْوَةِ الْكَذَبَةِ الْمُدْخَلينَ خُفْيَةً، الَّذينَ دَخَلُوا اخْتِلاَسًا

لِيَتَجَسَّسُوا حُرِّيَّتَنَا الَّتي لَنَا في الْمَسيحِ

كَيْ يَسْتَعْبِدُونَا،

اَلَّذينَ لَمْ نُذْعِنْ لَهُمْ بِالْخُضُوعِ وَلاَ سَاعَةً،

لِيَبْقَى عِنْدَكُمْ حَقُّ الإِنْجيلِ" (غلا٢:٣-٥).

"فَاثْبُتُوا إِذًا في الْحُرِّيَّةِ الَّتي قَدْ حَرَّرَنَا الْمَسيحُ بِهَا،

وَلاَ تَرْتَبِكُوا أَيْضًا بِنِيرِ عُبُودِيَّةٍ" (غلا٥:١).

فالمجد والسجود لعظمة الحب الإلهي الذي يصيرنا أبناء النور، ويغطينا بأمجاد فائقة إلى الأبد. آمين.

«وأنا كساقيةٍ من النهرِ، ومثلُ قناة خرجتُ إلى جنة.

قلت: «أسقي بُستاني وأُروي زهرائي»،

فإذا بساقيتي قد صارت نهراً، وبنهري قد صار بحراً.

فإني أُضيءُ أيضاً بالتأديبِ مثلَ الفجر، وأجعله يسطعُ إلى بعيد.

أُفيضُ التعليم مثلَ نُبوةٍ، وأُخَلّفُه للأجيالِ الآتية.

فَانظروا كيف أَني لم أَتعبْ لأَجلي فقط،

بل لجميعِ الذين يَلتمِسونَ الحكمة.

(سيراخ ٢٤: ٣٠-٣٤)

إني أنا الأخيرَ قد سَهِرتُ، كمن يلتقطُ وراءَ القَطّافين.

ببركة الربّ أسرعتُ، وكالذي قطفَ مَلأتُ المَعصَرة.

فاعترفوا بأنَّ تعبي لم يكن لي وحدي،

بل لجميع الذين يلتمسون التأديب»

(سيراخ ٣٣: ١٥-١٨)

مصطلحات

إكليسيولوجيا : يونانية. تدل على فرع من فروع اللاهوت يتناول التعاليم حول طبيعة ورسالة الكنيسة كما وردت في العهد الجديد.

أيــقونـــة : عن اليونانية. تدل على اللوحة المرسومة حسب قواعد لاهوتية وفنية دقيقة لشخص مقدس.

ثيــؤلوجيــا : يونانية. مصطلح يوناني من كلمتين، ويعني الكلام المختص بالله أي التعليم اللاهوتي.

ليــتورجيــا : يونانية. بمعنى العبادة الطقسية التي يمارسها المؤمنون لعبادة الله، خاصة في هيكل أو مجمع يهودي أو كنيسة مسيحية. وبشكل أكثر تخصصاً، فهي طقس الإفخارستيا أو سر الشكر الإلهي أو القداس الإلهي.

شَرِكـــة : في اليونانية "كينونيا". تدل على عمق العلاقة والترابط الوثيق مع الله.

كنســـي : ما يخص الكنيسة أو يعكس فكر الكنيسة.

قائمة أبجدية بأسماء الآباء والكُتاب الأولين الواردة بالكتاب. وتاريخ وفاقم:

- القديس أثناسيوس الرسولي (٣٧٣م).
- مار إسحق السرياني (نهاية القرن السابع).
- مار أفرام السرياني (٣٧٣م).
- أمبروسيوس (٣٩٧م).
- العلامة أوريجانوس (٢٥٣م).
- القديس باسيليوس الكبير (٣٧٩م).
- ثيودورُس (٤٢٨م).
- القديس كيرلس الأورشليمي (٣٨٦م)
- القديس كيرلس الأسكندري – الكبير – عمود الدين (٤٤٤م).
- القديس مقاريوس الكبير (٣٩٠م).
- يعقوب السروجي (٥٢١م).
- القديس يوحنا ذهبي الفم (٣٨٦م).
- القديس يوحنا التبايسي (٣٩٠م).
- الرسالة إلى ديوجينيتس. الكاتب مجهول (القرن الأول أو الثاني).

المراجع

أولاً: الكتاب المقدس:

١- الكتاب المقدس. دار الكتاب المقدس. مصر.

٢- الكتاب المقدس. ترجمة الرهبنة اليسوعية. دار المشرق بيروت ١٩٨٩

ثانياً: نصوص ومصادر كنسية:

١- الخولاجي المقدس. ترتيب القمص عبد المسيح صليب ١٩٠٢

٢- طقس الميرون المقدس والغاليلاون. في عهد قداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث. بطريركية الأقباط الأرثوذكس بالقاهرة ١٩٨١م — ١٦٩٧ش

٣- كتاب المعمودية المقدسة، قبطي عربي، طبع بمعرفة وبمطبعة القمص حنا غبريال، وكيل شريعة الاقباط ببني مزار ١٩٢٩

٤- ترتيب قسمة الكهنوت. لجنة التحرير والنشر بمطرانية بني سويف والبهنسا. الطبعة الثانية ١٩٩٢

٥- كتاب اللقان والسجدة. عني بطبعه للمرة الثانية أثناسيوس مطران بني سويف والبهنسا ١٦٧٣ش - ١٩٥٧م.

٦- سنكسار الكنيسة القبطية. طبعات متعددة.

٧- الأبصلمودية. كتاب التسبحة السنوية. طبعات متعددة.

٨- طقس سيامة الراهب الجديد. دير القديس العظيم الأنبا أنطونيوس بالبرية الشرقية بالبحر الأحمر ٢٠٠٨

٩- الترتيب الطقسي للأنبا غبريال الخامس البطريرك القبطي ٨٨ (١٤٠٩-١٤٢٧م). مطبوعات المركز الفرنسيسكاني للدراسات المسيحية الشرقية. القاهرة. الطبعة الثانية ١٩٦٤

١٠- قوانين بطاركة الكنيسة القبطية في العصور الوسطى. الراهب أثناسيوس المقاري. الطبعة الأولى ٢٠١٠

١١- معجم المصطلحات الكنسية. الجزء الأول. الراهب أثناسيوس المقاري. الطبعة الأولى. سبتمبر ٢٠٠١

12- The Study of Liturgy, SPCK, London 1993

ثالثاً: نصوص آبائية:

١- تجسد الكلمة. القديس أثناسيوس الرسولي. المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية. القاهرة ٢٠٠٢

٢- تعليقات لامعة (جلافيرا) القديس كيرلس الأسكندري. الكتاب الشهري. بيت التكريس لخدمة الكرازة. أبريل ٢٠٠٨

٣- العبادة بالروح والحق. المقالة الأولي. القديس كيرلس الأسكندري. المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية . ديسمبر ٢٠٠١

٤- السجود والعبادة بالروح والحق. القديس كيرلس الأسكندري. المقالة الثامنة. المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية. يناير ٢٠٠٦

٥- المسيح واحد. القديس كيرلس الأسكندري. المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية ١٩٨٧

٦- رسالة ٥٥ شرح قانون الإيمان. القديس كيرلس الأسكندري. المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية ١٩٩٧

٧- تجسد الابن الوحيد. القديس كيرلس الأسكندري. سلسلة الفكر المسيحي. القاهرة ١٩٧٥

٨- شرح إنجيل يوحنا. الجزء الثاني. القديس كيرلس الأسكندري. المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية. مايو ١٩٩٥

٩- جلافيرا على سفر التكوين. القديس كيرلس عمود الدين. الكتاب الشهري. سبتمبر ٢٠٠٧

١٠- فردوس الآباء. الجزء الأول. إعداد راهب ببرية شهيت. الطبعة الأولى ٢٠٠٥

١١- وجهك يا رب ألتمس. مختارات تعليمية للمنفعة الروحية. دير سيدة حماطورة. لبنان ٢٠٠١

١٢- شرح رسالة رومية (٦:١٢). القديس يوحنا ذهبي الفم. مرقس. رسالة الفكر المسيحي للشباب والخدام. يصدرها دير القديس الأنبا مقار. سبتمبر ١٩٨٥

١٣- الروح القدس. القديس باسيليوس الكبير. مطرانية الغربية للأقباط الأرثوذكس١٩٨٠

١٤- العظات. القديس مقاريوس الكبير. المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية ١٩٩١

١٥- الآباء الحاذقون في العبادة. القديس يوحنا التبايسي دير السيدة العذراء ــــ السريان

١٦- العظات. القديس كيرلس الأورشليمي. سلسلة أقدم النصوص المسيحية. الكسليك ١٩٨٢.

١٧- الرسالة إلى ديوجينيتس. المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية. نوفمبر ٢٠٠٤

١٨- الإنسان الباطن مسكن الروح القدس. العظة ٥٢ القديس مقاريوس الكبير. مرقس. رسالة الفكر المسيحي للشباب والخدام. يصدرها دير القديس الأنبا مقار. سبتمبر ١٩٩٤

١٩- آبائيات. كنيسة القديس أنبا مقار. أتريس إمبابة. الطبعة الأولى ١٩٩٦

٢٠- نسكيات. المقالة الأولى. إسحق السرياني. نقله إلى العربية الأب اسحق عطا الله بالتعاون مع معهد القديس يوحنا الدمشقي. البلمند. منشورات النور.

٢١- شرح الإيمان المسيحي. الجزء الأول. القديس أمبروسيوس. المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية. ٢٠٠٥

٢٢- العظات التعليمية. ثيودورُس. نقلها إلى العربية وقدم لها الخوري بولس الفغالي. دار المشرق. بيروت. طبعة أولى ١٩٩٨

رابعاً: معاجم وتفاسير كتاب مقدس:

١- قاموس يوناني عربي لكلمات العهد الجديد والكتابات المسيحية الأولى. دير القديس أنبا مقار برية شيهيت. الطبعة الأولى ٢٠٠٣

٢- معجم الألفاظ العسرة. سعيد مرقص إبراهيم. الطبعة الخامسة ٢٠٠١

٣- المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم. الخوري بولس الفغالي. المكتبة البولسية. لبنان. الطبعة الأولى ٢٠٠٣

٤- دائرة المعارف الكتابية. الجزء الثاني. دار الثقافة مصر. الطبعة الأولى ١٩٩٠

٥- دائرة المعارف الكتابية. الجزءالسادس. دار الثقافة ١٩٩٧

٦- معجم اللاهوت الكتابي. دار المشرق. بيروت ١٩٨٦

٧- رسالة القديس بولس إلى أهل كورنثوس. الخوري بولس الفغالي. منشورات الرسل ١٩٩٣

٨- بولس ورسائله. مقالة الأخت باسمة الخوري. دراسات بيبلية (٢٣). المكتبة البولُسية. بيروت ٢٠٠١

٩- المدخل إلى الكتاب المقدس جـ ٥ الرسالة إلى أهل غلاطية. الخوري بولس الفغالي. منشورات المكتبة البولسية. بيروت ١٩٩٥

١٠- سفر التكوين. التفسير الحديث للكتاب المقدس. دار الثقافة ١٩٩٥

كتب ودوريات مسيحية:

١- الصوم الكبير. مقدمة لدراسة قراءات الصوم الكبير. القمص كيرلس عبد المسيح حنا. كنيسة السيدة العذراء بالفشن. الطبعة الأولى ٢٠٠٤

٢- مجتمع يسوع تقاليده وعاداته. الأب سامي حلاق اليسوعي. دار المشرق. بيروت ١٩٩٩

٣- الحياة اليهودية بحسب التلمود. القمص روفائيل البرموسي. دير السيدة العذراء برموس. الطبعة الأولى ٢٠٠٢

٤- حياة المسيح. فريدرك فارار. تعريب الدكتور جورج يوسف عقداوي. المنصورة ١٩٤٩

٥- بولس الرسول.جوزيف هولزنز. ترجمة البطريرك الياس الرابع. منشورات معهد القديس يوحنا الدمشقي اللاهوتي. البلمند لبنان. الطبعة الثانية ١٩٨٦

٦- قردٌ أم إنسان؟ اسبيرو جبور. المنشورات الجامعة. طرابلس لبنان. الطبعة الأولى ١٩٨٣

٧- الكنائس القبطية القديمة في مصر. الجزء الثاني. ألفريد. ج بتلر. ترجمة إبراهيم سلامة إبراهيم. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣

٨- الأسرار. سلسلة محاضرات (الأسرار بين الرمز والحقيقة. المونسنيور يوسف بشارة) منشورات قسم الليتورجيا في جامعة الروح القدس. الكسليك ـــ لبنان ١٩٨٧

٩- محاضرة بعنوان الزواج. جمال هرمينا. أسبوع القبطيات الرابع ١٩٩٤م-١٧١١ش. كنيسة العذراء بروض الفرج.

١٠- أوليفيه كلمنت. المسيحى الأرثوذكسى وعالم اليوم. مركز دراسات الآباء ١٩٩٣

١١- دراسة في الإسكاتولوجيا. الأب أوغسطين دوبره لاتور. نقله ألى العربية الأب صبحي حموي اليسوعي. الطبعة الأولى ١٩٩٤

١٢- الأب إلياس مرقس. معرفة الله. دير مارجرجس الحرف. لبنان ١٩٨١

١٣- الأب ألكسندر شيمن. بالماء والروح دراسة ليتورجية عن المعمودية. نقله إلى العربية إسكندر أبو شعر. منشورات مطرانية الروم الأرثوذكس بيروت. الطبعة الأولى ١٩٨٨

١٤- تاريخ الكنيسة المفصل. المجلد الأول. نقله إلى العربية الأبوان أنطون الغزال وصبحي حموي اليسوعي. دار المشرق. لبنان. طبعة أولى ٢٠٠٢

١٥- الرمزية في الفن المسيحي. ج. كوبر. ترجمة الأستاذة أليس عزيز. أعدها للنشر صموئيل السرياني. معهد الدراسات القبطية

١٦- رسالة مارمينا في الدراسات القبطية. جمعية مارمينا العجايبي بالأسكندرية. الرسالة الحادية عشرة ١٩٨٦

١٧- دراسة للباحثة صافيناز نجيب. كلية الدراسات الاجتماعية والثقافية قسم تاريخ الأديان ـــ جامعة أوسلو، بعنوان "الشهيد كشاهد. سير الشهداء القديسين القبطية والعربية القبطية كوسطاء للذاكرة الدينية". عن: International Review for the History of Religions, Vol. XLI No. 3 – Sept. 1994

خامساً: معاجم:

١- المعجم الفسلفي. دكتور عبد المنعم الحفني. الدار الشرقية القاهرة. الطبعة الأولى ١٩٩٠

٢- مصطلحات فكرية. سامي خشبة. المكتبة الأكاديمية. الطبعة الأولى ١٩٩٤

٣- معجم الحضارات السامية. عربي. فرنسي. انكليزي. هنري س. عبود. جروس برس. لبنان. الطبعة الأولى ١٩٨٨

٤- المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية. الجزء الأول. الطبعة الثالثة ١٩٨٥

٥- مقدمة في فقه اللغة العربية. الدكتور لويس عوض. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠

سادساً: علم نفس واجتماع وحضارات وأخرى:

١- مدخل علم النفس. لندا ل. دافيدوف. دار ماكجرو هيل للنشر، الدار الدولية للنشر والتوزيع. القاهرة. الطبعة الثالثة ١٩٨٨

٢- التخلف الإجتماعي. مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور. د. مصطفى حجازي. معهد الإنماء العربي. بيروت. الطبعة الخامسة ١٩٨٩

٣-الشخصانية الإسلامية. الدكتور محمد عزيز الحبابي. دار المعارف (مصر) الطبعة الثانية ١٩٨٣

٤- الأنماط الثقافية للعنف. باربرا ويتمر. ترجمة: د. ممدوح يوسف عمران. سلسلة عالم المعرفة. الكويت ٣٣٧ مارس ٢٠٠٧

٥- بحث الإنسان عن نفسه. رولو ماى. ترجمة أسامة القفاش. دار الكلمة مصر ٢٠٠٦

٦- الحدود. د. هنري كلود، د. جون تاونسند. ترجمة د. إيفيت صليب، د. جرجس ميلاد. مكتبة دار الكلمة. القاهرة ٢٠٠٨

٧- القيم والعادات الاجتماعيّة مع بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعيّة. فوزية دياب. دار الكتاب العربي. القاهرة ١٩٦٦.

٨- إطلالات على الزمن الآتي. د. السيد نصر الدين السيد. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦

٩- التربية عن طريق الفن. هربرت ريد. ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦

١٠- فصول. الخلاص بالجسد. الهيئة المصرية العامة للكتاب. خريف ١٩٩٢

١١- أنثروبولوجيا الجسد والحداثة. دافيد لوبرتون. ترجمة محمد عرب صاصيلا. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٣

١٢- قصة الحضارة (١٠) قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية. ول ديورانت. ترجمة محمد بدران. الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠١

١٣- كتاب الطبائع. ثيوفراسط. ترجمة عبد الغفار مكاوي. الهيئة العامة لقصور الثقافة. يوليو ١٩٩٨

١٤- التجربة اليونانية. س.م. بورا. ترجمة: أحمد سلامة محمد السيد. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩

١٥- المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران. المعربة عن الإنكليزية. بيروت ١٩٦٤

١٦- لغز عشتار. فراس السواح. دار علاء الدين دمشق. الطبعة الخامسة ١٩٩٣

١٧- رسالة اليونسكو. دافيد لوبرتون. قيم ظاهرية. أبريل ١٩٩٧

١٨- سطور. ثقافية.. عربية.. شهرية. مارس ١٩٩٨

١٩- وجهات نظر. ديسمبر ٢٠٠٤ في عصر اللاهوية. الجمال المصري في زمن العولمة. فرحة غنام. فصل من كتاب: Health and Identity in Egypt (الصحة والهوية في مصر) Edited by Hania Sholkamy and Farha Gahnnam. AUC Press, 2004, 130 PP

صدر أيضاً للكاتب:

الصوم الكبير: مقدمة لدراسة قراءات الصوم الكبير. الطبعة الأولى ٢٠٠٤ (نفذ).

قائم كأنه مذبوح: تأملات في ليتورجيا سبت الفرح. الطبعة الأولى ٢٠٠٧

to the Love of God. «blessed is that who carried the great Almighty , who holds the world with a hidden power, and kissed Him and flooded Him with her loving hugs», (Jacob Serogy-patristics, p. 46) her intercessions and supplications support us and be with us, and keep for us the life of our Father His Holiness Pope Shenouda III, and his partner in the apostolic ministry our venerable father bishop Abba Stephanus, and other bishops fathers.

Glory to God in everything.

Father Kerollos Abdel Messih Hanna

festival of entering of Christ the land of Egypt,
24 Bashans 1727 Martyrs
June 1...2011 B.C.

which is the meaning of the words of Christ, «from whosoever shall smite thee on the right cheek, turn to him the other, also» (Matthew 5:39. But after its reading, it shows its close relationship with the field study, the study also addressed the spiritual meanings of the head cover of the newly baptized and the father priest in the Mass, and the scarf, the bride puts on her head in the ritual of marriage. We also concluded what is meant by the term the «sign» and then the head cover as a meaningful «sign» with certain connotations of deeply old roots.

The text is explained on its historical, environmental, cultural and linguistic backgrounds, and the culture of the addressed people to whom the text is directed, so that we can discern what the writer wants to say to them and to us as well, along with understanding the culture of the text writer, and the sources of his ideas and his orientations, which makes the interpretation or explanation closer to his purposes.

More importantly, than the need to carry out a historical or civilized research of the text, is to be explained through its vital correlation with the overall Christian theological thinking, according to the Holy Bible, the writings of the Fathers, and prayers and liturgies of the Church, and the conduct and the lives of her saints, and the march of the Church and her testimony and glorification of God in the world.

Finally, we reach to the fruit of study, which is reading the concerned text, a reading as close as possible to the intent of the Apostle Paul on the issue of covering the head of the woman.

Some may stop before some things that seem vague or unacceptable in some habits or practices for women, yet the woman remain in the top of theological teachings and the purity of the liturgy and Christian life, icon and example of the beauty of love, between God and humans. Perhaps the face of the Blessed Virgin Mary with baby Jesus in her lap is the brightest star that leads all those who come to the true God to His knowledge, and worshiping him, and the truest answer

Prologue

This is an attempt to study and explain the text of the First Epistle (11: 3-15), to «the church of God which is at Corinth» (1: 2), which contains the apostolic teaching about the prayer of the woman, while her head is covered.

The study contains three sections as follows:

First, a basic study dealing with human dignity of man as a creature in God's image, and the Christian vision of human body and soul, and as the basis deepens faith is strengthened by the importance of living aware of our humanity, and its aim, the grace it received and the mission it accepted from God. And then the study dealt with one of many issues concerning human body in general and women in particular: the phenomenon of sexual harassment, in our Egyptian society, through diagnosing it, research in its culture and principles for facing it, and the integral Christian concept of modesty and its importance, and the testimony of the Christian life concerning it.

Second, it deals with liturgical prayer, and the reason why the apostle Paul recommend that the woman puts a headscarf, veil, handkerchief or scarf, on her head. Through it, we also highlight an important biblical and apostolic teaching about the woman symbolizing the Church , by accepting the love of Christ, and the man symbolizing Christ, by loving the church, to consider in the light of this example the ideas presented here for study and explanation.

Third, presenting the text on the study, and the possibilities of interpretation, and according to the prospects for the interpretation of text, the study examined the meanings of «head», «hair», «face», in human, biblical and liturgical heritage, so that the search in the meaning of «face», got us to a topic which seems far from the field verse on this study,

With scrutiny and patience, the writer tried to approach the thought of the great Apostle Paul in many ways the most important of which are, the holy Bible, the writings of the early Fathers, and considering the backgrounds of the ancient Greek civilization and culture of of Corinth city at the time, till the research fulfilled its objective, which is to understand the text, without inclination to the lethal literalism, leaving the Spirit who vivifies, instructs and builds.

As usual, Father Kerollos Father Abdel Messih Hanna, in his former two books « Great Lent, a prelude to study of the readings of Lent,» and ,standing , as if wounded», reflections in the liturgy of Bright Saturday,» books that are characterized by focus and depth, so was this valuable research, which we may regard a rich addition to the Christian library, and an important book for all, especially for young people and servants, and may even be the first in the field of the concerned study , with this diversity and richness.

God bless the writer, makes this book a blessing for each reader, with the prayers of His Holiness Pope Shenouda III,may God keep his life many years , quiet and long through the intercession of the pure and holy Immaculate Virgin Mary, the grace of the Lord is with us all.Amen.

Stephanos

Bishop of Beba and El-fashn

About woman and headscarf

Introduction

H.G. Abba Stephanos

We are pleased to pass this important book about woman in theological, ecclesiastical teaching and the issue of covering her head during prayer, it is a detailed study and an extensive multifaceted interpretation, collecting several topics, when placing them together, they look like a beautiful mosaic, with multicolored pieces, each is indispensable .

The book begins by emphasizing the dignity of man, who is created in the image of God, focusing on the Christian vision of the body and spirit, and woman as a symbol of the church, those are important issues, working as solid foundation for the study, which in itself, can be useful in paving the way for other vital topics.

The book is also not devoid of issues important to us in contemporary life, that were dealt with , in the light of psychology and sociology, such as the importance of realizing the correct meaning of the human body, and its impact in the form and direction of contemporary life.

The book also deepens the study and explanation of rituals and practices, from their civilized, liturgical and biblical aspects, including things, we may practice daily, in our lives and rituals, and we must pay attention more to the richness of the great meanings, carried by them.

At the end of the chapter dedicated to human face, he offered an important clarification of the saying by Lord Christ, "whosoever shall smite thee on thy right cheek; turn to him the other also". (Matthew 5:39)

The writer (researcher), "sought to find acceptable words; and what was written was upright—words of truth" (Ecclesiastes 12:10). Asking God to give him according to his desire to speak (Wisdom 7:15) in order to add new, and draws from the deep and fresh. So the waterwheel became a river, the river became a sea. (Ben Sira 24:31), till his toil had fruits «for all who seek wisdom» (Ben Sira 24:34), by this book, we glorify God

through our Lord Jesus Christ. To Him is the worship and honor forever, Amen.

Father Abdel Messih Hanna Ghobrial

Contents

Translated by:

Nardeen Malak (Kerollos)

About woman and headscarf

"Judge in yourselves: is it comely that a woman pray unto God uncovered? "
(1Co 11 : 13)

A study and interpretation

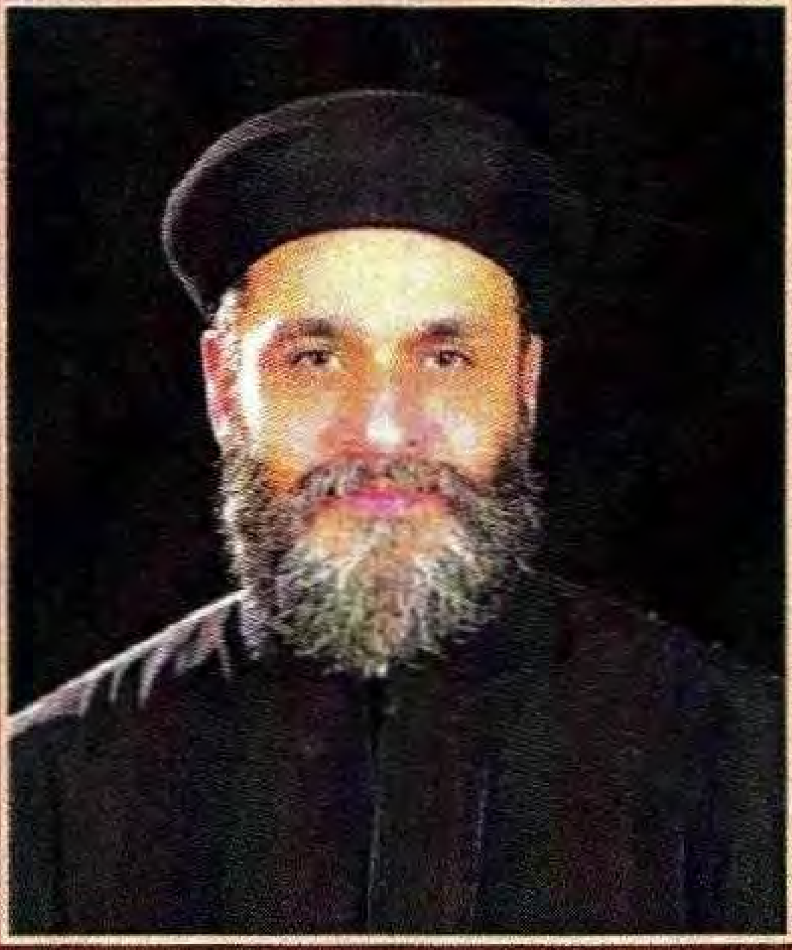
By

Fr. Kerollos Abdel Messih Hanna

Introduced by

H.G Abba Stephanos

Bishop of Beba and el-Fashn



هذه محاولة لدراسة وشرح نَصّ رسالة بولس الرسول الأولى (١١:٣-١٥) "إِلَى كَنِيسَةِ اللهِ الَّتِي فِي كُورِنْثُوسَ". والذي يحتوي تعليمه الرسولي الكنسي عن صلاة المرأة وهي مغطاة الرأس. وعليه يتساءل كثيرون: هل لا يزال الأمر باقياً حتى اليوم؟

لكي نكون أمناء أكثر نحو تعاليم الرسول بولس، علينا أن نضبط الرغبة في الحصول على الأجوبة العاجلة: "نعم" أم "لا"؟، "يجوز" أم "لايجوز"؟... إلخ. لأن هذا النهج لا يتفق مع طبيعة التعليم الرسولي الذي يهدف إلى تَجْدِيدِ أَذْهَانِنا، وتثقيف عقولنا بجمال "الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَ الآبِ وَأُظْهِرَتْ لَنَا". قد تنهى تلك الأجوبة عن أعمال لاتُوافِق أو تَبْنِي، لكنها لا تمنح المتلقي أسرار وغنى وشَرِكَة وبركة التعليم الرسولي.

السؤال والبحث الأفضل هو عن: لماذا كتب الرسول بولس هذا النَصّ؟، وما معنى وتفسير ما كتبه؟، وماذا يعني لنا اليوم؟، بعد ذلك "احْكُمُوا فِي أَنْفُسِكُمْ" (١كو١١:١٣).



